



البويرة في : 2024.10.10

المجلس العلمي

ك.ع.أ.م / 1.1.ع / 2023 / 77

### مستخرج محضر اجتماع المجلس العلمي للكلية

تداول المجلس العلمي لكلية العلوم الاجتماعية و الإنسانية في دورته الإستثنائية رقم 01 ، المنعقد

بتاريخ 2024.06.25 ، في محضر اجتماع اللجنة العلمية لقسم علم الاجتماع في دورته الإستثنائية

رقم 01 ، المنعقدة بتاريخ 2024.05.26 ، و الذي من بين أعماله مطبوعة دروس مقدمة من طرف

د. قاسمي وهيبة ، مقياس الأنثروبولوجيا الجنائية ، موجهة لطلبة الماستر 2 ، علم اجتماع الجريمة و

الإنفراف ، للسنة الجامعية 2023-2024 .

حيث بعد الإطلاع على التقرير التي كانت إيجابية ، صادق المجلس العلمي على المطبوعة .

رئيس المجلس العلمي للكلية



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur  
et de la Recherche Scientifique

Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -

Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tibirett -

Faculté des Sciences Sociales et Humaines



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة أكلي محمد أومحاج  
- البويرة -  
كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم علم الاجتماع

مطبوعة بيداغوجية في مقياس:

الأنثروبولوجية الجنائية

لطلبة السنة الثانية ماستر علم الاجتماع الجريمة والانحراف

من إعداد الأستاذ:

قاسمي وهيبة

السنة الجامعية 2023-2024

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية  
République Algérienne Démocratique et Populaire

Ministère de l'Enseignement Supérieur  
et de la Recherche Scientifique  
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -  
Tasdawit Akli Muḥend Ulḥağ - Tibirett -



وزارة التعليم العالي والبحث العلمي  
جامعة أكلي محمد أولحاج  
- البويرة -

Faculté des Sciences Sociales et Humaines

كلية العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم علم الاجتماع

مطبوعة بيداغوجية في مقياس:

الأنثروبولوجية الجنائية

لطلبة السنة الثانية ماستر علم الاجتماع الجريمة والانحراف

من إعداد الأستاذ:

السنة الجامعية 2023-2024

## البطاقة التعريفية للمقياس

اسم الوحدة: الأساسية

اسم المادة: الأنثروبولوجيا الجنائية

**أهداف التعليم:** يهدف المقرر إلى تعريف الطالب بأهمية دراسة أصل الجنس الإنساني وتطوره، ونشأة العلاقات الاجتماعية والثقافية وتطورها، والبناء الجسماني للإنسان وسلوكه، والتباين بين الجماعات المختلفة، وتأثير التاريخ الإنساني القديم على الحاضر الثقافي والاجتماعي، وكذلك تباين دور الأنثروبولوجيا الجنائية في بحث البقايا الأدمية، إضافة إلى إكساب الطالب أوجه التداخل بين اختصاص الطب الشرعي والأنثروبولوجيا الجنائية.

**المعارف المسبقة المطلوبة:** أن يكون مطلعاً أكثر على ماهية الأنثروبولوجيا العامة، وكذا فروعها (الأنثروبولوجيا البيولوجية أو البدنية، والأنثروبولوجيا الثقافية أو الاجتماعية وأنثروبولوجيا الآثار القديمة والأنثروبولوجيا اللغوية).



محتوى المادة:

## المحور الأول: مدخل عام للأنثروبولوجيا الجنائية

- 1- التعريف بالأنثروبولوجيا الجنائية ومجالاتها
- 2- علاقتها بالعلوم الاجتماعية الأخرى
- 3- أهم الانتقادات الموجهة إلى المدرسة الأنثروبولوجيا الجنائية

## المحور الثاني: التكوين البيولوجي للفرد المجرم

- 1- النظريات البيولوجية الجنائية قبل لومبروزو
  - أ- أهم الدراسات البيولوجية الجنائية
  - ب- أقسام الدراسات البيولوجية الجنائية
- 2- النظرية البيولوجية الجنائية لدى لومبروزو
  - 1- الأطروحات اللومبروزية (المدرسة البيولوجية الإيطالية)
  - 2- تصدع نظرية لومبروزو (النقد)
- 3- النظريات البيولوجية الجنائية بعد لومبروزو
  - أ- الدراسات الأنثروبولوجية الجنائية الأوروبية
  - ب- الدراسات الأنثروبولوجية الجنائية الأمريكية

## المحور الثالث: أثر العوامل البيئية في تكوين الفرد المجرم

### 1- البيئة العائلية

أ- إجرام بعض أفراد العائلة

ب- غياب الوالدين أو أحدهما عن العائلة

ج- عدم التوافق بين أفراد العائلة

د- التربية العائلية الخاطئة

هـ- الظروف الإقتصادية للعائلة

### 2- البيئة المدرسية

أ- سوء اختيار المدرسين

ب- سوء اختيار القائمين على إدارة المدرسة

### 3- بيئة العمل

أ- الإختيار الخاطئ للمهنة أو العمل من قبل الفرد

ب- نوع العمل أو المهنة ذاتها

ج- السلوك المنحرف لبعض الرؤساء والزملاء في العمل

### 4- البيئة الترويحية

أ- المكان

ب- أوقات الفراغ

ج- الوسائل الترويحية

# المحور الأول:

## مدخل عام للأنثروبولوجيا الجنائية

1- التعريف بالأنثروبولوجيا الجنائية ومجالاتها

2- علاقتها بالعلوم الاجتماعية الأخرى

3- أهم الإنتقادات الموجهة إلى المدرسة الأنثروبولوجيا الجنائية

## 1- التعريف بالأنثروبولوجيا الجنائية ومجالاتها:

الأنثروبولوجيا الجنائية حقل من العلوم انشق من علم الإنسان - الأنثروبولوجيا - وهي فرع

من فروع العلوم الجنائية، وتعرف كذلك بالأنثروبولوجيا Criminal Anthropology

الإجرامية والذي يعنى بدراسة الطبيعة البشرية بشكل عام وسلوك المجرمين بشكل خاص

بههدف التحقيق العلمي للجريمة.

وقد اختلف العلماء والباحثون في تحديد هذا الحقل من العلوم، فحدده البعض بأنه يختص

بدراسة التاريخ الطبيعي للإنسان المجرم، حيث يتناول دراسة أصله وأسبابه، ويحاول تحديد

مستوى المسؤولية لدى كل من المجتمع والشخص الذي ارتكب الجريمة، حيث أنه يتعلّق

الجاني بتحديد هوية الجاني على أساس العلاقة المفهومة بين طبيعة الجريمة وشخصية

وذلك من حيث تكوينه العضويOrganic، والفيزيولوجي Physiologic والتشريحيAnatomic

والعقليPsychial<sup>1</sup>.

وقد جرى أن يطلق على هذا العلم اسم **طبائع المجرم** أو **فرع طبائع الإجرام**.<sup>2</sup> ومضمون هذا

العلم هو دراسة التاريخ الطبيعي للإنسان المجرم وذلك من حيث دراسة التكوين العضوي

والعقلي والنفسي للمجرمين من حيث خصائصهم البدنية الظاهرة (الفيزيولوجية)، أو بأجهزة

جسمهم الداخلية (التشريحية) أو بغرائزهم أو بعواطفهم (النفسية) وعلاقة كل هذه المظاهر

والخصائص والأجهزة بظاهرة الجريمة. كما يشمل هذا الفرع، النظريات في علم الجريمة

---

<sup>1</sup> - الدوري عدنان، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي، ط3، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1984، ص115.

- نفس المرجع، نفس الصفحة.<sup>2</sup>



الأنثروبولوجية وأصوليتها وكيفية نشأتها واقتراح كيفية التعامل مع المجرمين من خلال النظريات والتجارب الواقعية.

أي أن علم الأنثروبولوجيا الجنائي يفسر الأسباب التكوينية التي تدفع المجرم على ارتكاب الجريمة. أي يبحث هذه الأوجه في الإنسان المذنب من النواحي الثلاث التالية:

- البحث في الصفات العضوية أو البيولوجية.

- البحث في الإفرازات الفردية

- البحث في النواحي النفسية.

إذ يقوم هذا الإتجاه على فرضية أن هناك علاقة بين خصائص الجسم وملامح الشكل والهيئة وبين طبيعة خلق الفرد وسلوكه، وأن هناك بعض الصفات الجسمية الشاذة يختص بها المجرمون والمنحرفون وهي تميزهم عن غيرهم من الأسوياء. ويرجع هذا الإتجاه إلى أعماق بعيدة في التاريخ، منذ شغف الإنسان بفراسة الإنسان محاولا التعرف على أسراره وخبائيا نفسه من قراءة ملامحه ودراسة تركيب جسمه.<sup>1</sup>

كما يهتم هذا العلم بالعوامل البيئية المحيطة بالمجرم على تلك الصفات التي يحملها، وذلك بقصد تفسير الدوافع والأسباب للأفعال الإجرامية الفردية. وقد صار البحث في النواحي النفسية الجانب الغالب في الدراسات الأنثروبولوجية الجنائية، فالتغيرات العضوية كثيرا ما تؤثر على الجوانب النفسية ثم القيام بتفسير السلوك الإجرامي لدى المجرم من خلال الربط بين العوامل الذاتية والخارجية التي تحيط به. ويعني ذلك أن علم الأنثروبولوجيا الجنائي لا يعطي تفسيراً لظاهرة الإجرام بوجه عام، ولكنه يفسر الأسباب التكوينية التي تدفع المجرم على ارتكاب الجريمة.

<sup>1</sup>- الدوري عدنان، مرجع سابق، ص 115.

كما ظهر مصطلح (الأنثروبولوجيا الجنائية) عندما استخدم علم الأنثروبولوجيا البيولوجية (البدنية) من أجل الإجابة عن التساؤلات الجنائية والقانونية، خاصة فيما يتعلق بفحص بقايا آدمية في مرحلة متقدمة من التحلل أو التشويه أو فحص الهياكل العظمية.<sup>1</sup>

ويسعى اختصاصيو الأنثروبولوجيا الجنائية إلى تبيان هوية الموتى الذين صارت أجسادهم في مرحلة متقدمة من التعفن أو التحلل، أو تعرضوا للحرق أو التشويه بحيث يتعذر التوصل إلى هوياتهم من خلال ملامحهم العامة، كما يسعون إلى تقدير الزمن الذي مضى على تلك البقايا كي يربطونها بعصور تاريخية ماضية.<sup>2</sup>

ويلاحظ أن صفة (جنائي أو شرعي) في الطب أو الأنثروبولوجيا أو أي علم آخر يدل على استخدام تلك العلوم أو فروعها في خدمة العامل بالقانون أو العدالة بصفة عامة، بيد أن قدم البقايا التي يتعامل معها الأنثروبولوجيون يلغي من انعكاساتها الجنائية، لأن الجرائم التي تكتنفها إما أن تكون سقطت بالتقادم أو أن يكون الجناة قد لقوا حتفهم منذ سنوات طويلة.<sup>3</sup>

---

<sup>1</sup> - Rachadtv، منبر الأحرار، د. موسى بورفيس، دور الأنثروبولوجيا الجنائية في تحديد مصير المختطفين في الجزائر،

<https://youtu.be/422HTpsLUj8?si=UoRgkWFGMtdSzhd5> , 2013/01/01

<sup>2</sup> - Rachadtv، منبر الأحرار، د. موسى بورفيس، نفس المرجع،

<https://youtu.be/422HTpsLUj8?si=UoRgkWFGMtdSzhd5>،

<sup>3</sup> - يعني استخدام العلوم الأنثروبولوجية والأدلة الجنائية في خدمة العامل بالقانون والعدالة بتوفير الأدلة والمعلومات التي يمكن أن تساعد في حل الجرائم وتقديم المجرمين إلى العدالة. ومن أمثلة الاستخدامات الشائعة للأنثروبولوجيا الجنائية:

. تحديد هوية الموتى باستخدام مهارات علماء الأنثروبولوجيا الجنائية لتحديد هوية الأشخاص الذين تم العثور على جثثهم في حالات مثل التحلل الشديد أو التشويه. هذا يمكن أن يساعد في تقديم المعلومات لذوي الضحايا وتحديد أسباب الوفاة

. تقدير الزمن الذي مر منذ ارتكاب الجريمة، وهذا يمكن أن يكون مفيداً في تحقيقات الجرائم وتقديم المشتبه به

. فحوصات الدم والبصمات الوراثية (DNA)

. تحليل الأدلة البيولوجية مثل الحمض النووي حيث يمكن استخدام هذه الأدلة لربط المشتبه بهم بمكان الجريمة أو الضحية

. تقديم الشهادات الخبيرة في المحكمة لشرح الأدلة والنتائج التي تم العثور عليها بطريقة علمية ومهنية.

## 1.1- ماذا تدرس الأنثروبولوجيا الجنائية (مجالاتها)؟

تدرس الأنثروبولوجيا الجنائية بشكل شامل الجانحين وسلوكهم الإجرامي في البيئة الاجتماعية، حيث تطور في النصف الأول من القرن التاسع عشر، كانت الخطوط البحثية للأنثروبولوجيا الجنائية موجهة نحو تخصصين أولاً العلوم الزائفة تسمى علم الفراسة Phrenology وعلم وظائف الأعضاء. وكل من درس وحاول شرح الشخصية والسلوك البشري الإجرامي على أساس عناصر النظام العنصري والفيزيولوجي. ومع ذلك تم دحض هذه النظريات ورفضها كحقائق مطلقة لشرح السلوك الإجرامي.

تدرس الأنثروبولوجيا الجنائية الخصائص البدنية والعقلية للمجرمين، وكذلك العوامل الاجتماعية والبيئية التي يمكن أن تؤثر على سلوكهم الإجرامي. ويركز البحث في الأنثروبولوجيا الإجرامية على عاملين أساسيين:

الأعمال الإجرامية والإنسان ككل دراسة شخصية وسلوك المجرم، وكذلك سلوك المنظمات الإجرامية بناءً على خصائصها المورفولوجية والجسدية والنفسية. بهذه الطريقة، تحاول اكتشاف الأنماط الشائعة في مواجهة الفعل الإجرامي، واكتشاف موضوعي عن الأسباب التي تدفع بالفرد إلى ارتكاب الجريمة.

وقد استعان هذا العلم بقواعد المنهج العلمي<sup>1</sup> من ملاحظة علمية مقصودة إلى فحوص مخبرية وتشريحية تناولت أجسام المجرمين وعقولهم سواء من وجد منهم في السجون أو المؤسسات الإصلاحية ومستشفيات الأمراض العقلية. بحيث قاموا بدراسة سماته الشخصية وخصائصه المزاجية والعصبية والعاطفية والإنفعالية والإدراكية، وقاموا بدراسة وتشريح مختلف وظائف أعضائه الجسمية ومكوناتها بهدف معرفة أثر الاستعدادات البيولوجية على السلوك، فضلاً عن معرفة أثر الوراثة على السلوك الإجرامي للفرد (فحص والكروموزومات

<sup>1</sup>- الدوري عدنان، مرجع سابق، ص 115

والجينات). كما تناولوا بالدراسة كل ما يتعلق بالتكوين النفسي للمجرم مثل: الأمراض النفسية والتخلف النفسي والإختلالات الغريزية والعواطف المنحرفة من خلال دراسة وتشخيص جهازه العصبي وإفرازاتها الهرمونية، والمخ والمخيخ، والنخاع الشوكي للبحث عن القدرات الفكرية والملكات العقلية وعلاقتها بالسلوك الاجرامي (دراسة الغدد الصماء وإفرازاتها الهرمونية والتي أثبت البحث العلمي تأثيرها المباشر على تصرفات الإنسان).

وهكذا عرضوا المجرم للكثير من التجارب العقلية والفحوصات المخبرية والبايوكيميائية والفزيولوجية والنفسية. ولقد كان هدف العلماء والباحثين من إجراء تلك الدراسات، إثبات الإختلاف بين التكوين الخَلقي والنفسي لمن يقدم على ارتكاب الجريمة وبين الشخص العادي من جهة ومن جهة أخرى يتم فحص سبل الإنصاف وأسباب الجريمة وكذلك تأثير العقوبة عليها معتبرة ذلك وسيلة للإصلاح والوقاية.<sup>1</sup>

## 2.1 - مجالات الأنثروبولوجيا الجنائية:

لدراسة السلوك الإجرامي، يوفر علم الإجرام العناصر العلمية التي تلقي بالحقيقة؛ وكل ما يحيط بمسرح الجريمة، وكيفية حدوثها، والبيانات المادية، وغيرها من البيانات ذات الصلة من هذه العناصر. وترسم الأنثروبولوجيا الإجرامية خطأً من التحقيق لشرح هذه الحقيقة، من وجهة نظر بيولوجية وأخلاقية. لا يهتم هذا العلم بوضع أحكام قيمية حول السلوك الإجرامي، لأنه يتعامل مع كشف الجريمة من واقع أو وجهة نظر المجرم؛ بمعنى أنه يحاول توضيح ما أدى إلى جعل الجانحين يرتكبون سلوكاً إجرامياً معيئاً ، سواء أكان مع سوابق أم لا.

ويتم تطبيق تقنيات هذا العلم لتحديد مصير الضحايا الذين تم اختطافهم وإخفاء جثثهم هروباً من العدالة وتحديد هويتهم والوصول إلى الملف الإجرامي التي اقترفت في حق هؤلاء الضحايا وذلك من خلال عمل أنثروبولوجي يتم وفق مراحل ويعتمد على تقنيات ووسائل

<sup>1</sup>- الدوري عدنان، مرجع سابق، ص 115.

معينة من أجل الوصول إلى حيثيات الجريمة وفتح التحقيق حول قضايا الإجرام وتحويلها إلى العدالة.<sup>1</sup>

وقد برزت الحاجة إلى هذا العلم خاصة في الدول التي عرفت نزاعات مسلحة أو حقبات ديكتاتورية كما هو الأمر في أمريكا اللاتينية (الأرجنتين، البيرو، القواتيمالا..)، فالإنتقال من مرحلة الديكتاتورية إلى الديمقراطية تم عن طريق ما يسمى بخلق لجان الحقيقة والعدالة، تقوم بمهام تحقيق حول جرائم الماضي وإنصاف الضحايا والتعامل مع البقايا البشرية الخاصة بالحقبة الديكتاتورية.

وتحتاج هذه اللجان لأداء مهامها إلى خبرة وكفاءة تسمح لتحليل البقايا البشرية، تحديد الهوية وسبب الوفاة ومعرفة أسباب وحيثيات الجريمة، هذا بشكل عام مجال اختصاص الأنثروبولوجيا الجنائية.

وقد برزت الحاجة لمثل لجان الحقيقة والعدالة هذه، خاصة لقلّة الأطباء الشرعيين في التعامل مع البقايا البشرية ذلك أن خبرتهم وكفاءتهم تكون في التعامل مع الجثث العظام أكثر من العظام هذا من جهة، ومن جهة أخرى بسبب تورط الكثير من الأطباء الشرعيين في الحقب الديكتاتورية بحيث كانوا يشكلون جزء من الآلة البوليسية، لذلك كانت الحاجة الماسة إلى تأسيس فرق خبرة مستقلة تكمن في لجان الحقيقة والعدالة الموثوق فيها حيث تعتمد عليها في إجراء خبرة مستقلة محايدة وبكل موضوعية.

وتعرف هذه اللجان على الصعيد الدولي وأشهرهما لجنتين معروفتين على المستوى العالمي:

اللجنة الأولى هي الفريق الأرجنتيني للأنثروبولوجيا الجنائية والتي L'équipe Argentine

d'anthropologie médico-légale تأسست سنة 1984 واشتغلت في أمريكا

<sup>1</sup> - Rachadtv، منير ال أحرار، د. موسى يورفيس، مرجع سابق،

<https://youtu.be/422HTpsLUj8?si=UoRgkWFgMtdSzhd5>

اللاتينية ككل وتم الإستعانة من خبرتها حتى من خارج الدول الأمريكية مثل السودان وفي قبرص وأصبحت اليوم تشتغل على المستوى العالمي ليس فيما يخص النزاعات المسلحة أو في الحقب الديكتاتورية فحسب وإنما حتى في الكوارث الطبيعية. أما الفريق الثاني المعروف دوليا هو الفريق الذي يشتغل في منطقة البلقان والذي تم تأسيسه سنة 1996 والذي يعرف تحت اسم اللجنة الدولية للأشخاص المختطفين International commission for missing persons ولهذين النموذجين مسار يشهد له إلى يومنا هذا في هذا المجال. ويكاد التخصص ينعدم في العالم العربي وبالخصوص في الجامعات الجزائرية، حيث نجد هذا التخصص كمقياس في الطب الشرعي ولا يوجد تطبيقات لهذا العلم سواء ما بعد النزاعات المسلحة أو في حالات الكوارث الطبيعية الكبيرة. وتعمل هذه الفرق مع أطباء شرعيين وأخصائيين وخبراء في تحليل مسارح الجريمة وتسوية الإستعانة بعملية الحفر في عمل الأنتروبولوجيا الجنائية وفق خطوات معينة تسمح في النهاية بجمع كل الأدلة التي يتم من خلالها تحديد الهوية الضحايا وأسباب الوفاة وحيثيات الجريمة وذلك على ثلاث مراحل:

**المرحلة الأولى:** مرحلة التحقيق الأولي الإبتدائي.

**المرحلة الثانية:** مرحلة الحفر والتحليل الأثري الجنائي.

**المرحلة الثالثة:** مرحلة الفحص الأنتروبولوجي في حد ذاته أي تقنيات الأنتروبولوجية الجنائية بحد ذاتها.<sup>1</sup>

وكخلاصة فإن الهدف الرئيسي للأنتروبولوجيا الجنائية هو فهم الجريمة والسلوك الجنائي بشكل أعمق ومن خلال منظور ثقافي واجتماعي، مما يساعد في تطوير استراتيجيات مكافحة الجريمة وتحسين نظم العدالة الجنائية.

---

<sup>1</sup> Rachadtv، منبر الأحرار، د. موسى بورفيس، مرجع سابق،

<https://youtu.be/422HTpsLUj8?si=UoRgkWFGMtdSzhz5>

## 2- علاقة الأنثروبولوجيا الجنائية بالعلوم الأخرى:

تستخدم الأنثروبولوجيا الجنائية التخصصات العلمية ومجالات المعرفة الأخرى مثل علم النفس والقانون الجنائي وعلم الوراثة، من بين أمور أخرى.

### 1.2 - علاقة الأنثروبولوجيا الجنائية بالطب الشرعي:<sup>1</sup>

ثمة تداخل بين اختصاص الطب الشرعي والأنثروبولوجيا الجنائية، وعلى الرغم من أن علم الطب الشرعي يشمل فحص البقايا الأدمية بشتى أنواعها من أجل تبيان الهوية، والأطباء الشرعيون يقومون بهذا العمل على أكمل وجه، إلا أن اختصاصاتهم أوسع من مجرد تبيان الهوية والمدة التي مضت على الوفاة، بينما يكاد ينحصر عمل اختصاصيي الأنثروبولوجيا على ما تقدم، وفي ضوء الأهمية التاريخية للآثار القديمة بصفة خاصة نشأ هذا الاختصاص المنفصل.

وعلى غرار ما يفعله الأطباء الشرعيون، يقوم اختصاصيو الأنثروبولوجيا الجنائية باستخراج وفحص ودراسة البقايا الأدمية، ويستهدف كلا الاختصاصين تقدير العمر أو السن، والجنس أو النوع، والطول، والأصول العرقية والجغرافية، وأية علامات تشير إلى إصابات أو أمراض قبل الموت أو في ساعة الموت. لهذا السبب فإن الأنثروبولوجيين غالباً ما يعملون جنباً إلى جنب مع الأطباء الشرعيين، واختصاصيي طب الأسنان الجنائي والمحققين في جرائم القتل للتوصل إلى معلومات تفيد في الأبحاث الجنائية أو التاريخية.

وخلافاً للأطباء الشرعيين لا يجوز للأنثروبولوجيين تعيين سبب الوفاة بشكل رسمي وقانوني، وقد يأخذ الأطباء الشرعيون رأيهم في الحسبان عندما يتعلق الأمر بالمدة التي

---

<sup>1</sup>-حسن أكرم نشأت، علم الأنثروبولوجيا الجنائي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط2، المملكة الأردنية الهاشمية، 2011، ص36-37-38-39..

مضت على الوفاة وجنس العظام والعمر والجنس وما إلى ذلك من الخصائص التي تفيد في تعيين هوية أصحاب العظام أو البقايا الأدمية.

وقد انبثقت اختصاصات دقيقة من علم الأنثروبولوجيا الجنائية، فنشأ اختصاص فحص العظام دون سائر الجسم، ومن خلال العظام يمكن تبيان طول الإنسان وجنسه وعمره والسلالة العرقية، وربما يظهر على العظام ما يدل على سبب الوفاة وكيفيةها. ومهما كانت مهارة الفاحص واختصاصه فإن مسألة العمر والطول تظل فيحكم التقدير التقريبي دون تحديد دقيق أو قاطع، فمن المسلمات الطبية أن العظام تتأثر من حيث خصائصها بمتغيرات كثيرة منها الغذاء والبيئة والوراثة، كما أن علاقة طول عظم معين بطول الإنسان قد تتأثر بعوامل تختلف من إنسان إلى آخر.

بإمكان الطبيب الشرعي التعامل مع البقايا البشرية لكن ليس لديه الخبرة والتأهيل الكافي لتحديد هوية الرفاة وتاريخ الوفاة ومعرفة الأسباب والحيثيات. لكن في الدول الفرانكفونية في الجزائر مثلا، فإن الطبيب الشرعي هو المؤهل في التعامل مع القضاء، وبالتالي فإن الطبيب الشرعي هو الذي يستعين بخبير الأنثروبولوجيا الجنائية ولكن هو من يحرر التقرير النهائي أي هو المعتمد عند القضاء. لكن فيما يخص الدول الأنجلوساكسونية، فإن الخبير في الأنثروبولوجيا الجنائية لديه اعتماد في المحاكم، وبالتالي بإمكان الإستغناء هنا عن الطبيب الشرعي بالعمل الخاص بالأنثروبولوجيا الجنائية.

## 2.2 - علم الآثار الشرعية<sup>1</sup>

يُوظف علماء الآثار الشرعيون معارفهم في تقنيات الحفر المناسبة للتأكد من الحصول على الرفات أو البقايا بطريقة سليمة ومقبولة جنائيا عندما يتم الكشف عن بقايا مدفونة جزئياً أو بشكل كامل يعمل علماء الآثار الجنائيون على استخراجها بطريقة تحفظ كل الأدلة الموجودة

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، مرجع سابق، ص-38-39.



على العظام على سبيل المثال. ويتمثل الفرق بين علماء الأنثروبولوجيا الجنائية (الطبية الشرعية) وعلماء الآثار الجنائيون في أن علماء الأنثروبولوجيا الطبية الشرعية يتدربون بشكل خاص على العظام البشرية وعلى استعادة الرفات البشري، بينما يتخصص علماء الآثار الجنائيون في عمليات البحث والاستكشاف وهو مجال أوسع وأكثر عمومية بالإضافة إلى البقايا، يتم تدريب علماء الآثار على سبيل المثال على البحث عن أشياء مخبأة في مناطق معينة. قد تتضمن هذه الأشياء أي شيء بدءاً من خواتم الزواج و حتى أدلة الإثبات المحتملة كأعقاب السجائر أو طبقات الأحذية و يمتد تدريبهم أبعد من سياق الملاحظة، إلى الربط بين وجود الأشياء و تقدير أهميتها في مسرح الجريمة ونتائج قد تكون مفيدة لتحديد الضحية أو المشتبه به كما يجب أن يكون عالم الآثار الجنائي قادراً إلى حد ما أن يستخدم الإبداع والقدرة على التلاؤم خلال بعض الأوقات حين يكون مسرح الجريمة غير قابل للاستكشاف بالتقنيات الأثرية التقليدية.

يشارك علماء الآثار الجنائيون في ثلاثة مجالات رئيسية: المساعدة في البحث في مسرح الجريمة وفي التحقيق وفي استعادة الأدلة و/أو تمثّل بقايا الهياكل جانباً واحداً فقط من عملهم، كما أن معالجة مساح (أماكن وجود الجثث) الوفيات الجماعية أو ضحايا الأحداث الإرهابية أو جرائم الحرب أو المقابر الجماعية أو انتهاكات حقوق الإنسان الأخرى، فرع من عمل علماء الآثار الجنائيين.

يمكن أن يساعد علماء الآثار الجنائيون في تحديد مواقع محتملة لمقابر تم إغفالها. حيث يمكن للتغيرات التي تحصل في التراب أن تساعد علماء الآثار الجنائيون على تحديد هذه المواقع.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup> - حيث يؤدي دفن جسم إلى إحداه تلة صغيرة من التراب بسبب وجود الجسم أسفلها. حيث تُسجّع التربة الرخوة و ازدياد على نمو أنواع مختلفة من النباتات أكثر من المناطق المحيطة. عادةً، يكون لمواقع المقابر تربة أكثر رخاوةً و أكثر قتامة وتحتوي على مُغذيات أكثر من المناطق المحيطة بها وقد يتم البحث عن مواقع أخرى خلال التحقيق في حالات الإبادة الجماعية أو المقابر الجماعية لتحديد مواقع دفن إضافية.

### 3- أهم الانتقادات الموجهة إلى المدرسة الأنثروبولوجيا الجنائية:

أ - عدم وجود منهج علمي واضح من حيث وجود جماعات ضابطة وأخرى تجريبية وعدم وضوح المفاهيم وصعوبة ترجمتها إجرائيا:<sup>1</sup>

إن التفسيرات البيولوجية الحتمية حاولت أن تبين أن المجرمين يختلفون عن الأسوياء سواء من حيث الصفات الجسدية أو التكوين الحيوي وكذلك الوراثة، إلا أن تلك النظريات غالبا ما عابها المنهج العلمي السليم، حيث اعتمدت في الغالب على المجرمين أو الأحداث المحكمين دون الإعتماد على عينات ضابطة من المجتمع، هذا من جانب، ومن جانب آخر لم تكن نتائجها شاملة وواضحة علاوة على صغر حجم العينات.

فقد كان النقاد ناجحين في تبيان العيوب والأخطاء المنهجية في البحوث البيولوجية وحقيقة الأدلة الإمبريقية لا تدعم في الحقيقة تلك النظريات. ومنذ بداية الخمسينات، فإنه قد تم تكذيب ورفض النظريات البيولوجية على نحو شامل. ولا زالت الكتب المدرسية في الجريمة والانحراف تتناول بالشرح نظرية لومبروزو والنظريات البيولوجية. ولقد تلاشت الأبحاث التي تقترح أو تحاول اختبار التفسيرات البيولوجية للجريمة من المجالات الدورية المتخصصة. وفي غضون ذلك الوقت فقد عُدت النظرية البيولوجية من قبل علماء الجريمة غير منطقية ولا أساس لها من الصحة.

ومن جهة أخرى فإنه لا ينجو أحد من النقد وهذا شأن لومبروزو، فمنهم من رأى أنه رائد علم الجريمة الحديث واليه يعود الفضل في استخدام المنهج العلمي في دراسة الجريمة وإبعاد هذا العلم عن الفلسفة والمفاهيم المجردة كالعدالة والمساواة وحرية الاختيار والسعادة واللذة والمعادلات الرياضية ورفض التفسيرات الميتافيزيقية لتفسير الجريمة. وهناك من رأى أنه

<sup>1</sup>- حسن أكرم نشأت، مرجع سابق، ص-38-39.

ساهم في تأخر علم الجريمة (وولف قانق 1972)<sup>1</sup> ربع قرن على الأقل. ومن جهة أخرى نجد مارفن وولف قانق 1972 يرى أن الإتجاهات الإجتماعية المعاصرة في دراسة الجريمة مُدانة للمبروزو بسبب ابتعاده عن التفسيرات الميتافيزيقية المطلقة كأساس للعقوبة إلى الدراسة العلمية للجريمة. ومازلنا نفرق بين المجرمين والجانحين وهكذا نجد أن لومبروزو أول من قام بذلك.

**ب - لا يمكن تفسير ظاهرة الجريمة بناء على عامل واحد وهو البيولوجي وإغفال العوامل الإجتماعية والإقتصادية والثقافية:**<sup>2</sup>

على الرغم من أهمية ما جاء به لومبروزو ومدرسته الأنثروبولوجية الوضعية من أفكار جديدة في تفسيره للسلوك الإجرامي على أساس بيولوجي، إلا أن هذه الأفكار لم تلق رواجاً وقبولاً كما كان مقدر لها، بسبب الإنتقادات التي وجهت إليها من عدد من العلماء والباحثين، خاصة علماء الإجتماع وعلماء النفس، بسبب إهمالها لقيمة الفعل الإجرامي هو المعبر الوحيد والكاشف لشخصية مرتكبه، إذ تتفاعل فيه جميع عناصر الشخصية البيولوجية والنفسية والإجتماعية. فالإنسان ليس جسداً فقط، وإنما يتأثر في تكويناته النفسية بجميع الظروف المحيطة به سواء كانت ظروفًا طبيعية أم إجتماعية أم غيرها. وقد أبرزت تلك الإنتقادات الأساس الواهي الذي بنت عليه الأنثروبولوجيا الجنائية، تقسيمها للمجرمين إلى أقسام ونماذج، بحسب تكوينهم البيولوجي باعتباره سبباً للجريمة.

فنموذج كنموذج "المجرم بالميلاد" - المجرم المطبوع، لا يمكن اعتباره مجرماً لمجرد توافر شروط وصفات وسمات جسمية معينة لديه. فالجريمة هي مخلوق قانوني قبل كل شيء، وتستند أساساً في وجودها على الإتيان بفعل معين يراه المشرع ضاراً بالمجتمع، وذلك يعني

<sup>1</sup> رونالد أكارس وكركستين سيليس، نظريات علم الجريمة المدخل والتقييم والتطبيقات، تر: دياب البدانية، رافع الخريشة،

دار الفكر، ط1، عمان، - 2013، ص65-66.

<sup>2</sup> نفس المرجع، نفس الصفحة.

أن الجريمة تتغير في صورها وأشكالها من مجتمع إلى آخر، وفي نفس المجتمع من فترة إلى أخرى، ولذا يكون من الخطأ إدراج شخص معين في قائمة المجرمين لمجرد توفر صفات جسمية لديه دون النظر إلى الفعل الإجرامي الذي تظهر فيه شخصيته بكامل مقوماتها الإجتماعية والنفسية.

### ج - اعتبار أن الجريمة هي حصيلة عوامل فردية (بيولوجية) ونفسية واجتماعية:

لقد حاول أنصار المدرسة الوضعية تعويض النقص الذي أظهرته الإنتقادات المختلفة لمدرسة الأنثروبولوجية الجنائية من إهمالها للظروف البيئية، فحاولوا إبراز أهمية العوامل البيئية وأثرها في الجريمة، وتكوين الفرد المجرم، خاصة العوامل البيئية الإجتماعية، وهو ما أشار إليه ثاني مؤسس المدرسة الوضعية، العالم "أنريكو فيري"<sup>1</sup> الذي ضم العوامل الإجتماعية إلى العوامل البيولوجية في تفسيره للجريمة، وعبر عن ذلك بوضوح في كتابه علم الإجتماع الجنائي بقوله إن الجريمة نتاج للأوضاع البيولوجية مثلما هي نتاج للأوضاع الإجتماعية. وقد وضح فيري هذا التفسير التوفيقى في القاعدتين الآتيتين:<sup>2</sup>

1- إن الجريمة ليست ظاهرة بيولوجية محضة ولا طبيعية ولا اجتماعية لكنها نتاج كل تلك العوامل مجتمعة، وذلك مهما كان مستوى خطورتها أو تفاقتها، ومهما كان نوع فاعلها من الناحية الأنثروبولوجية وسواء اعتبرناه شاذاً بصفة خاصة، أو دائمة، أو عابرة، وبصفة موروثية أم مكتسبة.

2- إنه لدى كل مجرم أيا كان نوعه، وفي كل جريمة أيا كان نوعها، يتفاوت مدى قوة العامل السائد، سواء كان ينتمي إلى الدوافع البيولوجية أو الطبيعية أو الإجتماعية.

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، مرجع سابق، ص 38-39.

<sup>2</sup> - نفس المرجع سابق، نفس الصفحة.

وبذلك حاول "فييري" وعلماء آخريين من أنصار المدرسة الوضعية مثل "جاروفالو"، بإدخال الظروف الخارجية والعوامل الإجتماعية في دراسة الجريمة والمجرم، مطلقين على تلك الدراسة علم الإجتماع الجنائي وذلك التخفيف من حدة التطرف الذي نادى به مدرسة الأنثروبولوجيا الجنائية بزعامة لومبروزو. إلى جانب إدراج دراسة الظواهر النفسية المختلفة ضمن دارسو الظروف الداخلية بشخص المجرم، وحاولوا تعميق تلك الدراسات النفسية لشخص المجرم لإظهار الأسباب الدافعة لارتكاب الجريمة، وقد شكلت تلك الدراسات النواة الأولى لعلم النفس الجنائي الذي اهتم بالتحليل النفسية لشخصية المجرم، لبيان أنواع الخلل أو مفهوم الأنثروبولوجيا الجنائية لتشمل دراسة الخصائص البيولوجية والنفسية والإجتماعية للمجرم، باعتبار أن الجريمة هي حصيلة عوامل فردية واجتماعية. ولما كانت ذاتية الفرد مزيجاً من تكوينين بيولوجي ونفسي، فأن العوامل الفردية تتشطر إلى عوامل بيولوجية وعوامل نفسية، وإن كان في واقع الحال لا يوجد فاصل دقيق بين هاتين المجموعتين من العوامل، فضلاً عن ارتباطهما الوثيق من جهة أخرى مع العوامل الإجتماعية، وبالتالي فإن من يرتكب الجريمة هو الفرد ولكنه لا يعبر في هذا الفعل عن فرديته الأصلية فحسب، بل عن بناء شخصيته المتكونة من امتزاج المؤثرات الإجتماعية بهذه الفردية. وهو ما ذهب إليه عالم النفس "سيجموند فرويد"، مؤسس مدرسة التحليل النفسي معتبراً أن السلوك الإجرامي هو نتيجة لوجود صراع داخلي مستمر ودائم بين الرغبات الفردية والقيم والأخلاق الإجتماعية التي تشكل عوائق في سبيل تحقيق تلك الرغبات. وبذلك فإن علم الأنثروبولوجيا الجنائية يجب أن لا يقتصر على دراسة المكونات البيولوجية للإنسان المجرم، وإنما يتسع ليشمل دراسة المكونات النفسية باعتبارها جزءاً لا يتجزأ من تكوين الإنسان المجرم، إضافة إلى دراسة البيئة الإجتماعية المحيطة بالإنسان المجرم وأثرها على سلوكه، لا سيما أن مفهوم الأنثروبولوجيا يهتم بدراسة الإنسان وكل ما يتعلق به في وجوده الطبيعي والحضاري والإجتماعي، فهو يختص بدراسة جسم الإنسان من حيث صفاته ومقاييسه، إضافة إلى دراسة سلوك الإنسان المكتسب الذي يتأثر بنوع البيئة المحيطة.

## د - عدم وجود نظرية علمية واضحة تستند عليها النظرية البيولوجية في تفسير الجريمة:<sup>1</sup>

إن علماء الاجتماع وعلماء الجريمة ذوي التوجهات السوسولوجية عادة ما يبنذون أو يرفضون المتغيرات البيولوجية من نظرياتهم ولا يزالون من أشد نقاد النظريات البيولوجية، وهم أيضا من أعنف نقاد نظريات بعضهم بعضا السوسولوجية. ومعظم الاعتراضات على النظرية البيولوجية تقوم على تطبيقاتها المثيرة للجدل في مجال السياسات الوقائية. فالسبب الرئيس لرفض النظريات البيولوجية المبكرة، له في الحقيقة علاقة ضعيفة أو واهية بمسائل الإختصاص أو السياسات. والسبب هو أن النظريات غير قابلة للإختبار، وأنها غير منطقية أو خاطئة، وهي نادرا ما صدمت أمام الإختبارات التجريبية، وعادة ما تعتنق وتناصر مفاهيم عنصرية وجنسية والتي تنهار بسهولة أمام الفحص الدقيق. وحتى أشد الداعمين للنظريات البيولوجية الحديثة في علم الجريمة والجنوح يقرّون بأن رفض النظرية الوضعية للومبروزو يعود إلى العيوب المنهجية الخطيرة في هذه الدراسات المبكرة، وضعف جهودها في دمج النتائج التي توصلت إليها مع معطيات النظرية الإجتماعية. ولقد أدركوا كذلك أن علم الجريمة البيولوجي التقليدي كان بسيطا وغير علمي وغالبا مبنيا على دراسات إيديولوجية متحيزة بما في ذلك بعضها من ألمانيا النازية. كما ان بعض الأنصار الحديثين لم يقدموا أية نظريات جديدة ولكن فقط ببساطة أعادوا إحياء العديد من التفسيرات البيولوجية للجريمة معتمدين على نفس الدراسات الناقصة القديمة مقدمين القليل من الأدلة التي يمكن أن تكون أكثر إقناعا<sup>2</sup>.

<sup>1</sup>- حسن أكرم نشأت، مرجع سابق، ص 38-39.

<sup>2</sup>- عايد عواد الوريكات، نظريات علم الجريمة، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004، ص 81-82.

## ه - عدم تناسي النظريات البيولوجية بالرغم من سيطرة المقاربات الإجتماعية والسوسولوجية على علم الإجرام:<sup>1</sup>

إن المقاربات الإجتماعية للجريمة كانت دائماً الأكثر تحبيذاً في أمريكا. ومنذ منتصف القرن العشرين فقد سيطر علماء الإجتماع على نظرية وأبحاث علم الجريمة. ولا تزال السيطرة السوسولوجية على علم الإجرام الأمريكي قائمة حتى اليوم، إلا أنها لم تصبح بالحضور نفسه الذي كان لها سابقاً. ويدعي "راي جفري" (1979-1980) وآخرون من الدعاة للنظريات البيولوجية في الجريمة، بأنه حتى في هذه الأوقات، فإن هذه النظريات لم يتم تناسيها على نحو كلي ولكن تم التعامل معها كموضوع محرم

وتم وضع حد لها من قبل علماء الجريمة من ذوي التوجهات السوسولوجية. لكن هذا الإدعاء (Tabou) أصبح يبدو مدار تساؤل كبير، لأن المؤلفات في النظريات البيولوجية في الجريمة قد انتعشت في العقود الثلاث (منذ الستينات إلى غاية الثمانينات)، ولا يزال لها مكانا بارزا في المجالات والكتب المتخصصة في علم الجريمة والتي تعطي مكانا واهتماما أكبر للنظريات البيولوجية عما كانت تعطيه من قبل (رايت وميلر 1998). كما أن الكتب المكرسة للترويج للنظريات ذات التوجه البيولوجي في علم الجريمة لا زالت تنشر من قبل الناشرين الكبار، ولا زال الإهتمام مستمرا بنظرية هوتون وتأثيره على مدرسة هارفرد في علم الجريمة البيولوجي والذي استمر حتى الثمانينات واعتباره كشخصية مهمة (وإن كانت على خطأ) في تاريخ علم الجريمة الأمريكي (رافتر 2004).

وفي الأخير لا منوط من القول أن الجريمة من الظواهر الإجتماعية المعقدة وهذا يعني تعدد العوامل والأسباب، وأن تعدد النظريات دليل صحة وعافية، ولكن التفسير الأحادي من الأمور غير المفضلة كالتفسيرات البيولوجية أو حتى الإجتماعية إذ لا بد من الأخذ بعين

<sup>1</sup>- حسن أكرم نشأت، مرجع سابق، ص 39.

الإعتبار تعدد العوامل ليس الإجتماعية فقط ولكن البيولوجية والنفسية..إلخ. والحقيقة أن الأبحاث في هذا المجال تقدم إضافة إلى النظرية في علم الجريمة (الكيمياء الحيوية وكذلك علم النفس التجريبي) وخاصة في مجال صغار السن أي الأحداث وفي مجال رعايتهم وتأهيلهم في المؤسسات الإصلاحية.



## المحور الثاني:

# التكوين البيولوجي للفرد المجرم

1- النظريات البيولوجية الجنائية قبل لومبروزو

1.1 - أهم الدراسات البيولوجية الجنائية

2.1 - أقسام الدراسات البيولوجية الجنائية

2- النظرية البيولوجية الجنائية لدى لومبروزو

1.2- الأطروحات اللومبروزية (المدرسة البيولوجية الإيطالية)

2.2- تصدع نظرية لومبروزو (النقد)

3- النظريات البيولوجية الجنائية بعد لومبروزو

1.3 - الدراسات الأنثروبولوجية الجنائية الأوروبية

2.3 - الدراسات الأنثروبولوجية الجنائية الأمريكية

## مدخل: نبذة عن النظريات البيولوجية الجنائية عبر التاريخ:

إن البحث عن أسباب الجريمة كان من الأمور التي شغلت الباحثين منذ فترة ليست بالقريبة وإن كان لم يأخذ طابعا علميا إلا في عهد ليس بالبعيد. فقد احتار الفلاسفة والكتاب والعلماء والباحثون وغيرهم من قديم الزمان إلى وقتنا الحاضر دون أن يهتدي أحدهم إلى معرفة عامل واحد واقع أو شامل يؤدي إلى الجريمة، وظلت الجريمة تعزى ردحا من الزمن إلى أفكار دينية وخلقية وفلسفية.

فقد اعتقد الإنسان القديم بوجود أرواح شريرة تتقمص روح المجرم وتدفعه إلى ارتكاب الجريمة، وفي تطور لاحق كانت الجريمة في نظر القدماء قدرا محتوما لا مفر منه يعبر عن غضب الآلهة الذي قد يمتد إلى ذرية الإنسان من بعده وطالما أن الجريمة محتمة على الإنسان على هذا النحو، فلا مجال لتلمس أسبابها في المجتمع أو في المجرم.<sup>1</sup>

وعند الفلاسفة اليونان القدامى (أبيقراط، سقراط، أفلاطون، أرسطو) رجعت الجريمة إلى مرض في النفس مصدره عيوب خلقية وجسمية ويكتشف عنه الخطوط التي توجد بين اليدين والرجلين، وتقاطيب الوجه، وربط بعضهم بين الجريمة والكواكب، وقالوا أن مصير الإنسان ومستقبله معلقا على الكوكب الذي كان متسلطا عليه عند ولادته وما إذا كان كوكبا طيبا أو كوكبا نحسا، وأن كواكب المجرمين نحسات.<sup>2</sup>

وفي العصور الوسطى وجد الفلاسفة في الجريمة تعبيرا مرضيا عن الطبيعة الإنسانية، واعتقدوا أن في مقدور الإنسان مقاومته داخل ذاته مستعينا في ذلك بالقيم الأخلاقية والفلسفية

<sup>1</sup> - محمد رمضان باره، "مبادئ علم الإجرام" لطلبة الجامعة المفتوحة، دار النشر غير معروفة، ط2، 2000، ص 52.

<sup>2</sup> - محمد رمضان باره، نفس المرجع، ص 52-53.

والدينية، وقد كتب "توماس الإكويني" يقول أن شهوات الإنسان هي الأصل في غالبية الجرائم واعتبر الفقر عاملا أساسيا للجرائم.<sup>1</sup>

- النظريات التي سادت منذ القرن الثامن عشر:

**المدرسة الفلسفية<sup>2</sup>** والتي يعد كانطمن روادها، فقد ربطت مشكلة الجريمة بالأخلاق حيث يقول «أن إرادة الخير هي الشيء الوحيد الذي يعد خيرا على الإطلاق دون قائد أو شرطي وترتبط إرادة الخير بمفهوم الواجب». ثم تلت هذه المدرسة خطوات أخرى حاولت أن تسلط الضوء على الجريمة و أن تمنحها التفسير العلمي الجزئي أو المتكامل للظاهرة.

**النظرية الجغرافية**، التي عملت على تفسير الجريمة والتأثير من جانب عوامل الجو والحرارة واختلاف التضاريس ومن ريف إلى حضر وكثافة السكان وغيرها والتي لها دفع على الإجرام، وأغفلت هذه النظرية العوامل الذاتية للفرد وتأثيرها في سلوكه.<sup>3</sup>

**وفي العصور الحديثة**، درس العلماء الجريمة والانحراف ووجدوا أنها لا ترجع إلى عامل واحد، سواء كان التكوين العضوي أو الوراثي أو النفسي أو الإجتماعي وسواء ترجع إلى الفقر وانهيار الأسرة أو ضعف الإشراف المدرسي أو مخالطة الأشرار. فإذا سلمنا بأن الفقر سببا للجريمة فإن الكثير من الأسوياء فقراء، لهذا ثمة عوامل أخرى تضافرت إلى جانب الفقر وأدت إلى الجريمة. وعليه ومع انبلاج الثورة العلمية<sup>4</sup> في مجال العلوم الطبيعية وامتدادها إلى بقية العلوم الإجتماعية، ومرد ذلك أن علم الإجرام شأنه شأن سائر العلوم الإنسانية إنما يتعامل مع الإنسان وإذا كانت العلوم الطبيعية تتعامل مع المادة وتستطيع أن تسيطر عليها وتخضعها للتجريب فذلك أمر عسير المنال بالنسبة للإنسان. واتخذ البحث في عوامل الإجرام طابعا علميا

<sup>1</sup>- محمد رمضان باره، مبادئ علم الإجرام " لطلبة الجامعة المفتوحة، مرجع سابق، ص 53.

<sup>2</sup>- يسعد ليلي، دروس في مقياس الأنثروبولوجيا الجنائية، مرجع سابق.

<sup>3</sup>- عايد عواد الوريكات، نظريات علم الجريمة، مرجع سابق، ص 63- 71.

<sup>4</sup>- محمد رمضان باره، مرجع سابق، ص 53- 54.

وتعددت الأبحاث والنظريات التي تفسر هذا السلوك، واتخذت اتجاهات متعددة واتبع كل فريق منهم مدرسة فكرية خاصة، صنفت فيما بعد إلى أربع اتجاهات أو مجموعات أو مدارس علمية هي: المدارس التكوينية أو العضوية، المدارس النفسية، المدارس الإجتماعية. أما الإتجاه الرابع الذي حاول التوفيق بين هذه المدارس فقد أطلق عليه الإتجاه التكاملي وهذا الإتجاه يرى أن السلوك الإجرامي هو سلوك مركب لا يمكن إخضاعه للتجزئة أي لعوامل معينة عضوية أو نفسية أو اجتماعية بل إن هذه العوامل مجتمعة هي التي تؤدي إلى ارتكاب السلوك الإجرامي. وقد تبلورت هذه الإتجاهات المتعددة في الفقه إلى ثلاث اتجاهات أو مذاهب فحسب هي:

**المذهب الفردي:** ويشمل جميع المدارس التي ترجع الجريمة إلى أسباب كامنة في ذات المجرم وتتكسر كل دور للعوامل الإجتماعية.

**المذهب الإجتماعي:** ويشمل جميع المدارس التي ترجع أسباب الجريمة إلى البيئة أو المحيط الإجتماعي الذي يعيش فيه المجرم فحسب.

أما الإتجاه الثالث أو الإتجاه التكاملي فهو المذهب المختلط أو التوفيقي: وبعد فشل العلماء والمفكرون في وضع نظرية عامة لأسباب الإنحراف، لذلك اعتبر البعض الآخر أن مجموعة عوامل هي أجزاء متكاملة تؤدي إلى الجريمة وكذلك من الصعب تقييم أسباب الجريمة بشكل شامل ينطبق مع كافة بني الإنسان في كل زمان ومكان<sup>1</sup>. وجاء هذا الإتجاه ليشمل جميع الآراء التي حاولت أو تحاول التوفيق بين الإتجاهين السابقين، وترى أن الجريمة بقدر ما تعود إلى العوامل الفردية تعود أيضا إلى العوامل الإجتماعية وإن اختلف تأثير هذه العوامل من حالة إلى أخرى.

---

<sup>1</sup> - عايد عواد الوريكات، نظريات علم الجريمة، مرجع سابق، ص 75.

## 1 - النظريات البيولوجية الجنائية قبل لمبروزو:

لقد احتفظت المدرسة الكلاسيكية في علم الجريمة بسيطرة فعلية على دراسة الجريمة حتى أواخر القرن التاسع عشر. حيث تبنت وأيدت الاعتقاد القائل بأن الأفراد يقومون بحسابات عقلانية للألم واللذة خلال ممارستهم لإرادتهم الحرة في ارتكاب الجريمة أو الإمتناع عن ارتكابها، أي تدعي أن للإنسان كامل السلطة على سلوكه وله الحرية المطلقة في التصرف والإختيار، وقد خلا تفكير هذه المدرسة من إقحام الدوافع الشيطانية وأن الإنسان يستمد لذته من تشرده أو من أفعاله الإجرامية التي يحرمها القانون، وتتوقف درجة المسؤولين على درجة خطورة الفعل ومدى الضرر الواقع على المجتمع ومعنى ذلك أن العبرة بالفعل وليس الفاعل مهما كان سنه أو ظروفه الصحية والعقلية ودرجة تعليمه أو صناعته. ومنذ عام 1870 بدأت هذه النظرية بالتراجع، مفسحة الساحة للنظرية الوضعية البيولوجية. وتسمى أحيانا المدرسة الأنثروبولوجية<sup>1</sup> أو المدرسة الوضعية في تفسير السلوك الإجرامي. ويفضل استخدام النظرية البيولوجية الجنائية باعتبارها لا تمثل إلا جانبا واحدا من جوانب المدرسة الأنثروبولوجية في تفسير السلوك الإجرامي كما أنها تختلف عن المدارس الوضعية الأخرى كالمدرسة الإجتماعية والمدرسة النفسية في تفسير الجريمة من حيث منهجيتها لكونها تؤكد الجانب التطبيقي في نظرياتها وأبحاثها.

وتركز النظرية البيولوجية الجنائية على البحث في العوامل الحدية -الجبرية- في تفسير السلوك الإجرامي التي يُعتقد بوجودها أصلا في العوامل الجينية البيولوجية. كما تركز النظريات البيولوجية التقليدية على الجوانب التشريحية التركيبية والفسولوجية والجينية، المرضية عند الفرد والتي تعزل منتهكي القانون في فئة محددة مختلفة عن الأفراد الملتزمين

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، علم الأنثروبولوجيا الجنائي، مرجع سابق، ص 43.

بالقانون وفي المقابل فإن هذه النظريات تتجاهل أو تقلل من تأثير العوامل البيئية الإجتماعية في الجريمة.<sup>1</sup>

فقد افترضت هذه النظرية الجديدة (النظرية البيولوجية) أن الجريمة ليست سلوكاً عقلانياً سوف يحدث إلا إذا تم منعها بالتهديد المناسب بالعقوبة، بل هي نتاج سمات غير سوية تقود الفرد إلى خرق قواعد المجتمع الحديث. وتدعي هذه النظرية أن القرارات العقلانية لا شأن لها بذلك، بالرغم من أن الظروف البيئية والأوضاع يمكن أن تثير أو تقيد السلوك الإجرامي، إلا أنها لا تسبب في ارتكاب الجريمة. ففي حين أن بعض الأشخاص وفي بعض المناسبات قد يستسلمون للإغراءات والضغوط لارتكاب الجريمة، إلا أن المجرم الحقيقي - بالنسبة لهذه المدرسة - هو شخص مولود بسمات إجرامية وسوف يظل على خلاف مع المجتمع المتحضر. وإذا كان للمجتمع الحق المسوغ والشرعي في معاقبة المجرمين من أجل حماية ذاته، إلا أن شدة يقينية العقاب سوف لن يكون لها تأثير على المجرمين بالطبيعة أو الميلاد، من حيث إن إجرامهم سببها تكوينات بيولوجية كامنة والتي لا يؤثر فيها قانون. وبينما كانت المدرسة الكلاسيكية في علم الجريمة ذاتية، فإن الوضعية البيولوجية كانت علمية وركزت على الأفراد المجرمين.<sup>2</sup>

أما بالنسبة للجذور التاريخية للنظريات الأنثروبولوجية والتي من أبرزها:

#### - علم الفراسة:

إن المدرسة البيولوجية في تفسير السلوك الإجرامي لم تبدأ مع لومبروزو، بل بدأت قبله بكثير منذ عهد الإغريق، وقدماء المصريين الذين قاموا بوضع جذور هذه المدرسة عن طريق ما يعرف بعلم الفراسة الذي صار فيما بعد نواة لعلم الأنثروبولوجيا الطبيعية في

<sup>1</sup> رونالد أكراس وكرستين سيليس، نظريات علم الجريمة المدخل والتقييم والتطبيقات، تر: دياب البدانية، رافع الخريسته، دار الفكر، ط1، عمان، 2013، ص77.

<sup>2</sup> عايد عواد الوريكات، نظريات علم الجريمة، مرجع سابق، ص77-78.

العصور اللاحقة. ومنذ ذلك التاريخ القديم ظل الإنسان يتابع بشغف كل ما يحيط بمبحث هذه الفراسة لاستكشاف خفايا النفس البشرية ومعرفة أسرارها، وظل الإنسان يهتم بتركيب الجسم البشري ودراسة ملامحه العضوية لمعرفة علاقة هذه الملامح بخلق الإنسان ومعرفة سلوكه. ولا شك أن معرفة الفراسة هذه قد اتخذت طريقها إلى تفسير السلوك الإجرامي، فظهرت بعض أنواع الفراسة الجنائية التي هدفت إلى التنبؤ بالسلوك الإجرامي عن طريق دراسة ملامح الإنسان الظاهرة، ومن هنا بدأ علم فراسة جديد يشق طريقه في أوروبا منذ بداية القرن السابع عشر.

### **1.1- أهم الدراسات البيولوجية الجنائية<sup>1</sup>:**

فقد نشأ علم الأنثروبولوجيا الإجرامية في القرن 17م مع الإيطالي ديلاپورتا من Dell Porta ولافارتا Lavarta وديلاشامبر De la Chambre من أبرز تلك الدراسات الجنائية الرائدة في ميدان الفراسة الجنائية، حيث تناولت بحث العلاقة بين تركيب جسم المجرم ولامح وهيئة جسده، كالوجه والرأس والقامة وبين طبيعة سلوكه.

ولعل أهم تلك الدراسات كانت دراسة ديلاپورتا التي نشر نتائجها في كتابه الشهير - السمات الخارجية للفرد- أو "الملامح الخَلقية للمجرم" وتوصل من تلك الدراسة إلى أن هناك تشابه ، كبير بين ملامح وجه بعض المجرمين وسمات جماجمهم ولامح وجماجم بعض الحيوانات المتوحشة، وقد برز هذا المؤلف في مؤلفه العلاقة بين الجسد والنفس استنادا إلى أن هناك ارتباطا بين أجزاء الجسم المختلفة كالعينين والجبهة والأنف وبين الصفات الفردية، بل وكذلك بين الإحساسات الفردية المختلفة.<sup>2</sup> وفي القرن 18م لقد دقق وأكمل هذه النظرية

<sup>1</sup>- حسن أكرم نشأت، علم الأنثروبولوجيا الجنائي، مرجع سابق، ص45- 46- 47.

<sup>2</sup>- سليمان عبد المنعم، علم الإجرام والجزاء، منشورات الحلبي الحقوقية، 2003، ص125-126.

العالم الفرنسي لافارتا حيث قام بربطها بطبع المجرمين. وهي الفكرة التي أخذها عنه فيما بعد لومبروزو وطورها إلى فكرة الردة الوراثية.<sup>1</sup>



وبالرغم من أهمية تلك الدراسات إلا أن غالبية هذه الدراسات ظلت بعيدة عن الطابع العلمي المنهجي حيث لم ينتهياً لها السبيل إلى إثبات أهميتها حتى ظهور ما عرف بعلم فراسة الدماغ الذي يعزي ظهوره إلى مؤسسه العالم الفرنسي فرانتز جوزفغال (1758- 1828) حيث ركز على دراسة الجمجمة وتضاريس المخ وعلاقتها الإحتمالية بالإجرام. و"جاسبار" وهو طبيب أمراض عقلية نادى بالطبيعة المرضية للجريمة وشبه بينها و بين الجنون.

### 1.1.1 Gall: (1781-1758) - مدرسة الفراسة (نظرية "غال")

لقد بدأ علم فراسة جديد يشق طريقه في أوروبا منذ بداية القرن السابع عشر. ويعتبر جوزيف غال من رواد هذه المدرسة. وقد ولد غال سنة 1758 في لفنبرن بألمانيا ودرس الطب في فينا سنة 1781 حيث حصل على شهادة الطب سنة 1785. خلص غال إلى النتيجة القائلة بوجود رابطة بين التكوين الجسدي والسلوك الإجتماعي، نتيجة لدراسته الطبية التي لاحظ فيها أن الأشخاص المتفوقين في الذاكرة لديهم المقدرة العالية في اللغة ويتميزون بسعة العينين. ولقد أمضى 20 عاما في التجارب الجراحية والأبحاث الطبية وجمع

<sup>1</sup> - يسعد ليلى، دروس في مقياس الأنثروبولوجيا الجنائية، مرجع سابق.

<sup>2</sup> - حسن أكرم نشأت، علم الأنثروبولوجيا الجنائي، مرجع سابق، ص 97-98-99.

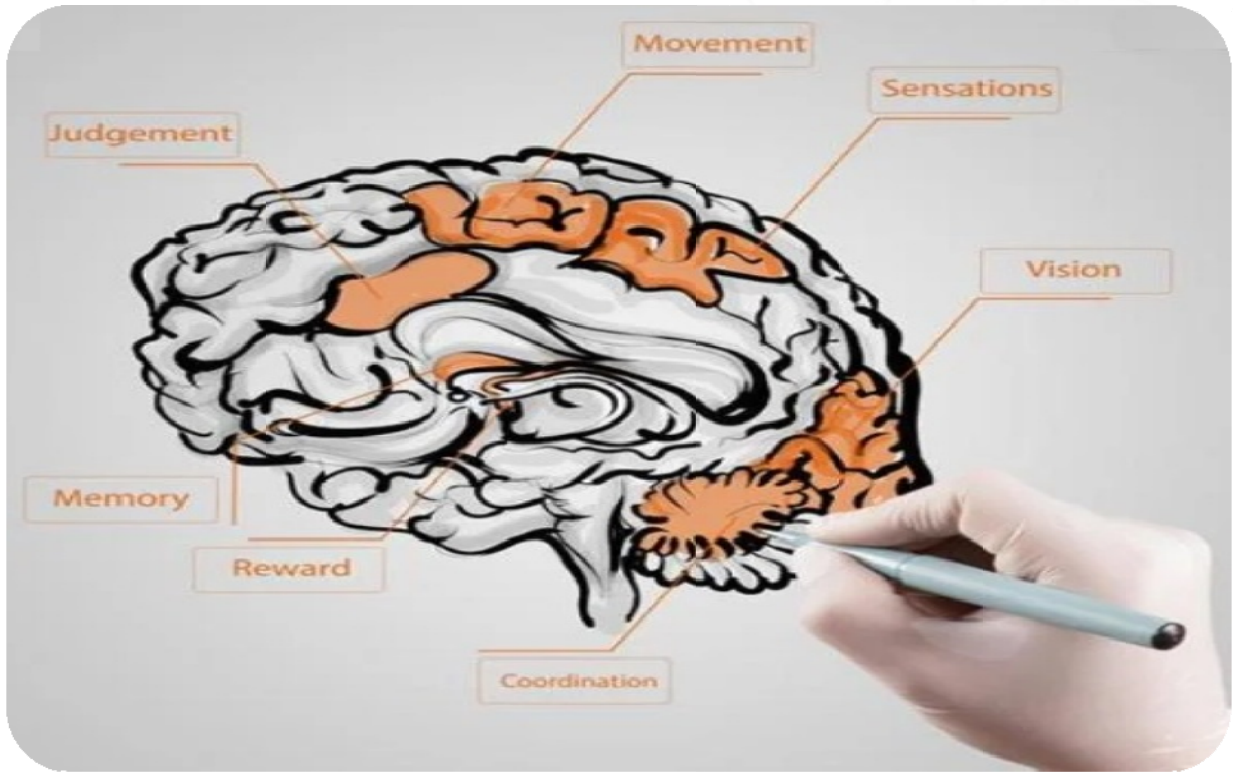
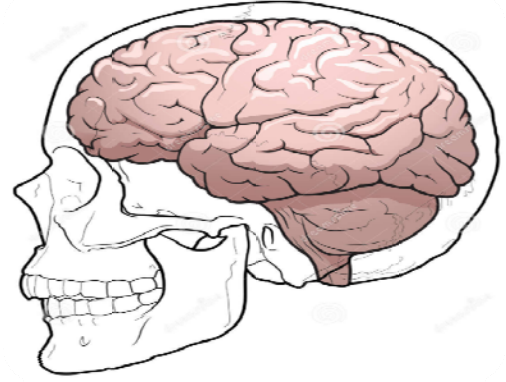


كما هائلا من المعلومات والتي سوف يتمخض عنها نظريته المعروفة بالتمركز، ولم يتخذ أي عالم منهجه أونظريته بل وصفه أركنوردينسكولد أنه أذكى أهل عصره في تخصصه. فقد اقتحم مجال أشكال الجمجمة Phrenologie ووضع خريطة مخية Cartecérébrale مع تعيين موقع وظائف المخ، وعزز هذه المعطيات الإيطالي الشهير سيزار لومبروزو الذي اهتم كثيرا بعلم الجمجمة في القرن 18م، وهو الذي ربط بين الملامح الخارجية للأفراد وسلوكاتهم في علاقة سببية.

اعتقد غال أن تطور المخ الداخلي يرتبط بوظائف الدماغ ويقوم الدماغ بدوره بتغيير شكل الجمجمة وتتلخص آراء غال في هذا المجال، على أن الصفات التشريحية للجمجمة ترتبط ارتباطا معينا بالصفات التشريحية للدماغ البشري، وذلك على أساس أن المظهر الخارجي لكل جزء من أجزاء الجمجمة يعكس ما يقابله من الأجزاء الداخلية للغشاء الذي يغلف الدماغ وهذا يرتبط ارتباطا وظيفيا بالأجزاء الداخلية للدماغ ذاته. ويعتقد غال أن الدماغ البشري ينقسم إلى ملكات ووظائف عقلية ونفسية ومزاجية، موزعة توزيعا وظيفيا على أجزاء الدماغ الداخلية، ولأجل ذلك فإن بوسع الباحث أن يعرف طباع الفرد وعقليته من خلال دراسته للتكوين الخارجي لسطح الجمجمة وأن هناك مناطق محددة في الدماغ تسيطر على الأنشطة السلوكية المختلفة.

والحقيقة أن غال لم يكن مهتما بالجمجمة ومقاييسها بل ركز على الدماغ ووجد أن هناك 26 وظيفة له، وقد قسم تلميذه سبرزهايم الدماغ إلى 35 عضوا، ويعتبر جزء التحطيم وهو يقع فوق الأذن في غاية الأهمية لعلماء الجريمة ويرتبط بسلوك العنف وخاصة جرائم القتل ويذكر أن من أطلق تسمية الفراسة هو توماس فورستر وقد نشر أول أبحاثه سنة 1791.<sup>1</sup>

1- حسن أكرم نشأت، علم الأنثروبولوجيا الجنائي، مرجع سابق، ص 97-98-99.



وعلاوة على غال وتلميذه سبرزهايم ظهر في بريطانيا تشارلز كومب (1788-1858) حيث نشر سنة 1819 مقالات في علم الفراسة إلا أنه اعتبره علما تقديريا. وفي أمريكا ظهر تشارلز كالدويل (1772-1853) أن علم الفراسة علم تجريبي اعتمد على التجارب المعتمدة

على الفرضية القائلة (بأن الظاهرة العقلية لها أسباب طبيعية تحددها وبذلك يرى **غال** ان الصفات الفسيولوجية والتشريحية ذات تأثير مباشر على السلوك العقلي).

وللإنصاف نرى مع الكثيرين أن **جوزيف غال** هو مؤسس علم الجريمة الوضعي لعدد من الأسباب ومنها على سبيل المثال لا الحصر:<sup>1</sup>

- أن علم الفراسة سبق **لومبروزو** في الظهور 70 عاما حيث نشر **لومبروزو** كتابه الأول سنة 1876 فيما نشر **غال** أبحاثه حول هذا الموضوع سنة 1807.

- ركز **لومبروزو** على الإرتداد الخلقي والبيولوجي مضيفا أجزاء غير بيولوجية إلى نظريته فيما نجد أن المتغير الرئيسي عند **غال** هو الدماغ والذي يؤثر على السلوك الإنساني من حيث التحديد والتغيير والتوجيه.

- أما فيما يتعلق باسم النظرية، فقد ذهبت نظرية **لومبروزو** تحت مسميات كثيرة بالإيطالية والأنثروبولوجية والوضعية فيما نجد نظرية **غال** هي علم الفراسة وهي علوم العقل

Science of mind

- أما من حيث الأصول العلمية لكلا النظريتين فنجد أن **لومبروزو** أمضى عددا من السنوات يقيس الأجزاء المختلفة من الجسم وخاصة عندما شرح جمجمة "فيليبلا" ثم توصل إلى نظريته الإرتدادية، بينما أمضى **غال** 20 عاما حيث قاس مئات الجماجم والأدمغة قبل أن ينشر نتائجه ويتوصل إلى النظرية.

-استخدم **غال** كل الأدوات المتاحة في عصره بينما نجد **لومبروزو** قد استفاد من التطورات العلمية وخاصة الأنثروبولوجية المادية.

<sup>1</sup>- حسن أكرم نشأت، علم الأنثروبولوجيا الجنائي، مرجع سابق، ص 97-98-99.

- استمرت شرعية نظرية لومبروزو قرابة 37 عاما أي من الفترة سنة 1876 وحتى ظهور مؤلف **السجين الإنجليزي للعالم جورنق** سنة 1913 بينما نجد أن نظرية الفراسة استمرت قرابة 38 سنة أي من سنة 1807 إلى 1845.

- الأبحاث العلمية المتأثرة بكلا النظرتين عادة ما يوصف **فيري وجارفيلو** أنهم تلامذة لومبروزو، والحقيقة أن الأخير فيلسوف ولم يستخدم الطرق العلمية في دراسته، فيما نجد أن تلامذة **غال** وهم **سبرزهايم وكومب** قد استخدموا نفس المناهج العلمية واستمروا في البحث والنشر حتى سنة 1865.

- طبيعة المعارضة للنظرتين، حيث أن الكثير من انتقد لومبروزو وهاجم منهجه وعنصريته ويمكن القول أن عام 1913 شهد وفاة نظريته بل هناك من سبق **جورنق** إلى ذلك وخاصة في فرنسا أمثال: **مانوفيرولاكسني**، بينما نجد أن علم الفراسة قد تلاشى لأسباب غير علمية وإنما لأسباب دينية وشخصية ولم يعد لديه أسبابا مقنعة كافية لإثبات نفسه.

- التطبيق النظري للمعرفة العلمية المعاصرة: لم تحظ نظرية لومبروزو بأي دعم علمي معاصر، مقابل ذلك نجد أن جراحة الدماغ الحديثة توصي بإزالة مناطق محددة كإحدى لوزتي الحلق وقرن آمون عند بعض عتاه المجرمين، ولكن النجاح كان محدودا.

وهكذا نلاحظ أن علم الفراسة قد سبق الوضعية بحوالي نصف قرن على الأقل، ولقد استخدم **غال** وتلامذته المناهج والإجراءات العلمية المعروفة مستندا في ذلك على مهنته كطبيب ونرى أن **غال** هو مؤسس علم الجريمة الوضعي وليس لومبروزو.<sup>1</sup>

1- حسن أكرم نشأت، علم الأنثروبولوجيا الجنائي، مرجع سابق ، ص 97- 98- 99.

## 2.1.1 - مجموعة من الدراسات الأخرى:

لقد جاء التأثير الرئيسي على علم الجريمة المبكر من الحقل الطبي<sup>1</sup>، فبالإضافة إلى النظريات التي تطورت في أوائل القرن التاسع عشر المتعلقة بالبناء الفسيولوجي، هنالك التفسيرات السيكاثرية (النفسية) والتي ركزت على العوامل العقلية وعلاقتها بالسلوك الإنساني، فالعلماء "جيل، بانيل، سكورول ومورل وبرتشارد ومودسلي"، حاولوا الربط بين العنف أو الخصائص العقلية والجسدية بالجريمة، وهكذا يعتقد الكثيرون أن الأطباء الإنجليز تنبؤوا بوجود علاقة بين التكوين الجسدي للشخص وسلوكه قبل المدرسة الأنثروبولوجية الإيطالية في علم الجريمة. وهذا النوع من الفكر النظري سيطر على نهايات القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين.

وفي نفس الإطار قام الطبيب الفرنسي بول بروكا<sup>2</sup> بالربط بين الجريمة وشكل الجمجمة والقامة وملامح الوجه أو الملامح العضوية كما سماها وأضاف الملامح النفسية فيما بعد، أي أن التكوين النفسي والعقلي للفرد وعلاقته بالسلوك الإجرامي. وهكذا توالت الدراسات الأنثروبولوجية التي تناولت دراسة وتشريح جماجم المجرمين، وقد شكلت هذه الدراسات الرائدة البداية لظهور علم الأنثروبولوجيا الجنائية في معناها العلمي الصحيح.

كما ساعد على ظهور هذا العلم بوجه خاص، تلك الدراسات التشريحية الجنائية التي قام بها عدد من أطباء السجون الإنجليزية مثل ويلسون و تومبسن ونيكلسون، وكانت جميع تلك الدراسات أنثروبولوجية جنائية تناولت البحث عن نموذجية أنثروبولوجية للمجرم ومدى إمكانية تمييزه عن غيره عن طريق بعض الملامح الجسمانية. وعلى سبيل المثال فقد وجد ويلسون في دراسة تشريحية لرؤوس 464 مجرماً، أن هناك نمودجا إجراميا خاصا يتميز به

<sup>1</sup> - عابد عواد الوريكات، نظريات علم الجريمة، مرجع سابق، ص 62.

<sup>2</sup> يشار إلى العالم بروكا كمؤسس لعلم الأجناس البشرية الحديث إذ يعود إليه الفضل في إنشاء أول جمعية - أنثروبولوجية في مدينة باريس - منذ عام 1859.

رأس المجرم، اللص المحترف بشكل واضح. كما وجد تمبسون في دراسة مماثلة تناولت خمسة آلاف مجرم، أن هناك بعض الصفات الجسمانية المشتركة التي يتميز بها المجرمون دون غيرهم.

وفي الختام يمكننا إيجازهم أقسام الدراسات البيولوجية الجنائية وذلك على النحو الآتي:

## **2.1 - أقسام الدراسات البيولوجية الجنائية:<sup>1</sup>**

بشكل عام يمكن القول أن الدراسات البيولوجية أو دراسة السمات الخلقية قبل لومبروزو انقسمت إلى ثلاثة أقسام رئيسية هي:

### **- دراسة الجمجمة Crinology:**

وقد اهتمت هذه الدراسات بالجامع البشرية من حيث أوزانها وأحجامها ودراسة كل ما يتعلق بملامح الوجه وتركيب الفكين ومواقع الأسنان وأشكالها وشكل الأنف والأذنين.

### **- الدراسات القياسية البيولوجية لبقية أعضاء الجسم:**

وتناولت القامة ووزن الجسم وعرض الصدر وطول الأذرع والساقين والأقدام وتكوين العظام وملامح الجهاز العضلي ودراسة العاهات والمناقص الجسمية.

### **- الدراسات المتعلقة بالملامح العقلية والنفسية:**

وتناولت موضوع الشعور الأخلاقي وبعض المظاهر السلوكية والنفسية، كالغرور والتلبد العاطفي والقدرات العقلية ودراسة الأحلام والاتجاهات الأدبية والفلسفية والإجرامية التي يحملها الفرد.

---

<sup>1</sup>حسن أكرم نشأت، علم الأنثروبولوجيا الجنائي، مرجع سابق، ص47.

ومما تقدم نلاحظ أن رواد علم الإجرام في تلك المرحلة قاموا بدراسة دقيقة لكل ملامح الجسم البشري اعتقاداً منهم أن الجريمة هي ظاهرة بيولوجية يمكن أن يرثها الإنسان بنفس الكيفية التي يرث بها لون شعره أو طول قامته.

## **2- النظرية البيولوجية الجنائية لدى لومبروزو (المدرسة الوضعية الإيطالية):**

مثلاً أشرنا سابقاً، فإن سيزار لومبروزو لم يكن المنشئ الأول للمدرسة البيولوجية في تفسير الجريمة، ولكنه يعتبر المجدد لهذه المدرسة، من خلال إنشائه للمذهب الوضعي للمدرسة البيولوجية. لذلك يتفق معظم العلماء والباحثين في علم الإجرام اليوم على أن علم الإجرام الحديث بدأ على يد لومبروزو ومدرسته الأنثروبولوجية التي يطلق عليها المدرسة البيولوجية الوضعية لاعتمادها على المنهج الوضعي في دراسة المجرم دراسة منهجية علمية منظمة، معتمداً منهج الملاحظة والوصف والقياس.<sup>1</sup>

وقد ظهرت المدرسة الوضعية الإيطالية في أواخر القرن 19 الميلادي، والتي اهتمت بعلم الإجرام الحديث وتبنت فكرة الاختلاف بين المجرم والشخص العادي، والذي تزعمها وأسسها العالم الإيطالي الطبيب البشري والعالم النفسي الشهير "سيزار لومبروزو" (1835-1909)<sup>2</sup>، والذي ترجع إليه أصول المدرسة الأنثروبولوجية في علم الإجرام، حيث أسس المذهب البيولوجي في تفسير الجريمة، أي أن سبب الجريمة يكمن في تكوين الفرد، وذلك من خلال قيامه ولأول مرة ببحث العوامل البيولوجية للجريمة على أساس علمي منظم.

وتوصلت هذه المدرسة إلى نظرية تبرز صفات المجرم لتبين أن المجرم مضطر إلى ارتكاب الجريمة لنقص أو تشويه في تكوينه الجسمي والنفسي والعقلي. وفي هذا الإطار تكون التفسير البيولوجي العلمي لمفهوم الأنثروبولوجيا الجنائية.

<sup>1</sup>- حسن أكرم نشأت، علم الأنثروبولوجيا الجنائي، مرجع سابق، ص 48.

<sup>2</sup>- حسن أكرم نشأت، نفس المرجع، ص 75.

## 1.2- أهم رواد المدرسة الإيطالية للأنثروبولوجيا الجنائية:

يعتبر الطبيب الإيطالي سيزار لومبروزو (1835-1909) من رواد المدرسة الوضعية وإلى جانب لومبروزو أيضا نجد العالم الجنائي و الإجتماعي " أنريكو فري"، و"رفائيل جارفالو" القاضي والفقير واللدان يعتبران أيضا من المؤسسين الأوائل للمدرسة الوضعية واللدان أصبحا طلابه في عام 1879. وفي السنة هذه نفسها، وُلدت المدرسة الإيجابية رسمياً. ونتيجة لكل هؤلاء ظهر علم جديد يسمى "علم الأنثروبولوجية الجنائي وعلم الإجرام، وعلم الإجتماع الجنائي... إلخ.<sup>1</sup>

وإلى جانب المدرسة الإيطالية هناك المدرسة الأخرى للأنثروبولوجيا الإجرامية وهي المدرسة الفرنسية والتي انبثقت من المدرسة الإيطالية، والتي تعترف بأهمية علم وظائف الأعضاء وتشريح المجرم، لكنها تنفي سابقتها، وبدلاً من ذلك، قامت بإعطاء درجة أكبر للجوانب الاجتماعية والنفسية للسلوك الإجرامي.

## 2.2- لمحة عن سيزار لومبروزو:

لقد كان "لومبروزو" طبيباً إيطالياً يهودياً وُلد في فينيسيا الإيطالية، بيدمونت (1835)، اهتم بدراسة السلوك البشري ويدعى "أب علم الجريمة الحديث"<sup>2</sup>. عاش حياته عالماً بمساعدة ابنتيه "جينا" و"باولا" وتلامذته وأتباعه، درس الطب وكان أستاذ الطب الشرعي والعقلي في جامعة بافيا، لكنه في النهاية تخرج طبيب جراح في جامعة فيينا. شغل منصب طبيب معالج في الجيش لمعاينة وتشخيص النزلاء فيها، ثم أمضى بقية عمره من سنة 1876 وحتى وفاته أستاذاً في جامعة تورين الإيطالية. في سن العشرين أراد أن يظهر أن الذكاء كان غريباً على النساء. كانت أطروحته الدكتوراه دراسة عن الطقوس في لومبارديا في عام 1871، قام

<sup>1</sup> مننديات طلاب وطالبات السعودية، SOC441- منتدى خاص بطلبة جامعة الملك العزيز، علم الاجتماع الجنائي،

منتدى خاص بطلبة جامعة الملك العزيز، الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي 1438هـ - 2017م.

<sup>2</sup> - عايد عواد الوريكات، نظريات علم الجريمة، مرجع سابق، ص 63.



بالعديد من البحوث وتجارب كثيرة إلا أن الشهرة جاءت بعد نشر نشره لأطروحة أنثروبولوجية تجريبية "للرجل المنحرف" أو في بعض الكتب وجدت تحت اسم "الإنسان المجرم" وكان ذلك في 15 أبريل 1876 (وفي مراجع أخرى بينت سنة إصدار الكتاب كانت سنة 1878)<sup>1</sup>، واعتبر هذا التاريخ وبشكل رسمي بمثابة الميلاد الرسمي لعلم الإجرام كعلم. وافتتح في هذا العام دورة مجانية في الطب النفسي والأنثروبولوجيا الجنائية. كان هذا هو النجاح الذي ترك طلاب الجامعة دراساتهم للتسجيل وحضور الدورة. وقد تم ترجمة كتابه هذا بعد ذلك إلى الإنجليزية سنة 1911 تحت عنوان: "الجريمة: أسبابها وعلاجها".<sup>2</sup> كما قام بتعديل وتوسيع كتابه الأصلي هذا من خلال خمس طبعات متتالية (عام 1897)، ونشر أيضا مجلدات عن أسباب وعلاج الجريمة، وكتاب "الأنثى المجرمة".

لقد أتاح له عمله كطبيب في الجيش الإيطالي وضابط وأستاذ جامعي (الطب الشرعي والعقلي) بالقيام بفحص ملاحظات منظمة وقياسات عديدة على الجنود والضباط السوي منهم والمنحرف أخلاقيا وسلوكيا والمجرمين والمجانين وبعض المواطنين، ومن خلال المادة المتجمعة قام بإجراء العديد من المقارنات مستخدما المنهج التجريبي في الطب الجنائي الذي كان يماثل علم الأنثروبولوجيا الجنائية.<sup>3</sup> فقام بأول دراسة ميدانية علمية حقيقية لموضوع الجريمة ومحاولة تفسيرها تفسيراً علمياً انطلاقاً من دراسة وتشريح الجماجم البشرية وقياس المواصفات الطبيعية للإنسان. وكانت البداية عندما استرعت اهتمامه بعض الصفات والسمات الخاصة عند المجندين وبعض النزلاء المصححات النفسية وبعض السجناء، وبعد فترة تكونت لديه أفكار معينة حول هؤلاء، وسماتهم وصفاتهم الجسمية الخاصة وعلاقة ذلك بالإجرام.

<sup>1</sup> - عايد عواد الوريكات، نظريات علم الجريمة، مرجع سابق، ص 63.

<sup>2</sup> - حسن أكرم نشأت، علم الأنثروبولوجيا الجنائي، مرجع سابق، ص 49.

<sup>3</sup> - عدلي محمود السمري، علم الإجتماع الجنائي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط2، عمان، الأردن، 2011،

ص73.

حيث خلص إلى وجود صفات فيزيقية (الرأس، الجسم، الذراعين، والجلد) تتوافر لدى عدد من أفراد الفئة الأولى (السجناء الإيطاليين) دون الثانية (الجنود الإيطاليين) حيث قام بتشريح جثث كثير من المجرمين، فخلص أيضا إلى وجود قاسم مشترك من الخصائص تجمع بينهم. أثناء مراقبة جمجمة مجرم يدعى "فيليبلا"، حدد العديد من الحالات الشاذة في هذه الجريمة. ومنذ تلك اللحظة، ومن خلال هذه المقارنات استنتج أن المجرمين مختلفون فيزيقيا عن المواطنين الملتزمين بالقانون وأن هذه الاختلافات تبرهن على الأسباب البيولوجية للسلوك الإجرامي.<sup>1</sup> واعتبر أن السلوك الإجرامي يتأثر ببعض التثوهات القحفية وأن هذه التثوهات لها أوجه تشابه مع بعض الأنواع الحيوانية.

### 3.2- أفكار نظرية لومبروزو (نظرية الارتداد):

تقوم فرضية لومبروزو ومدرسته الأنثروبولوجية في تفسير السلوك الإجرامي على فكرة الحتمية أو الجبرية البيولوجية، ومفادها أن المجرم يولد وسمات الجريمة مطبوعة على جسمه، ومثل هذه السمات تخلق فيه اندفاعية فطرية طبيعية تجعله أكثر من غيره اندفاعا نحو ارتكاب الجريمة. وبذلك فإن أهم ما استحدثته المدرسة الوضعية هو "مبدأ الجبرية" في تفسير السلوك الإجرامي، وذلك على العكس من الأسس التي بنيت عليها المدرسة التقليدية السابقة لها، التي تؤمن بفكرة الإرادة والحرية في السلوك، حيث اعتبرت أن الإنسان مخير في سلوكه، مما يجعله بالتالي المسبب لسلوكه الإجرامي.<sup>2</sup>

وقد أكد لومبروزو في كتابه على وجود عنصر التخلف الحضاري والبشري للمجرم بالولادة، وكانت الرؤيا لدى لومبروزو تشير إلى أنه من صفات المجرم أنه شخص يتصف بالارتداد

<sup>1</sup> - عايد عواد الوريكات، نظريات علم الجريمة، مرجع سابق، ص 78.

<sup>2</sup> - حسن أكرم نشأت، علم الأنثروبولوجيا الجنائي، مرجع سابق، ص 48-49.

**الوراثي** - بمعنى أنه بدائي متخلف ومتوحش وشرس أكثر من مثيله المتحضر-أي أن نظريته تلقي الضوء على المراحل المبكرة من التطور الإنساني . **Atavisme**.

أي أن المجرم بالميلاد لديه التكوين الفيزيقي والقدرات الذهنية والغرائز التي للإنسان البدائي، أي أنه يحمل غالبا بعض العلامات والصفات الإرتدادية وإذا لم تكن هيئته على هذه الحال فإنه "يرتد" - عند ارتكابه للجريمة- إلى الحالة البدائية الأولى التي ترده إلى الإنسان المتخلف، وهي بذاتها قد لا تؤدي إلى ارتكاب الجريمة ما لم تندمج في شخصية صاحبها. وإذا لم يتم بالتحديد منعه فإنه لا محالة سوف يخرق قواعده الإجتماعية والقانونية ولذلك فإن المجرم بالميلاد غير مؤهل للعيش في المجتمع المتحضر. وفكرة "الإرتداد إلى الحالة البدائية للإنسانية" هي عصب نظريته. ومن هنا غلب لومبروزو دور الوراثة على ما عداها من عوامل.

وقد انتهى إلى أمرين أساسيين:

**الأول:** أن الصفات الإرتدادية (الصفات الخلقية) الخالقة معه تتوافر لدى معظم المجرمين لا لدى جميعهم.

**الثاني:** أن الوراثة وحدها لا تؤدي إلى الجريمة وإنما تؤدي إلى توفر ميل نحو الجريمة ما لم يكن مقترنا بعوامل معينة، قد تكتسب بعد الميلاد<sup>1</sup>.

وقد جاء تفسير لومبروزو للسلوك الإجرامي بالإرتداد الوراثي نتيجة لتأثره بالعالم دارون ونزعتة التطورية إلى حد كبير، إذ يقول دارون في هذا المجال، أنه إذا كان من الممكن ظهور خروف أسود بين مجموعة من الخرفان التي تختلف عنه فإن ذلك يعزى إلى ردة أو رجعة وراثية. ولهذا فإن المجرم بهذا المعنى هو ذلك الخروف الأسود في عائلته التي تختلف عنه، وقد ظهر كذلك بالصدفة ودونما سبب ظاهر. وهكذا يمثل المجرم انتكاسة

<sup>1</sup> - عدلي محمود السمري، علم الإجتماع الجنائي، مرجع سابق، ص73-74.

ورجعة إلى المرحلة المتوحشة التي اجتازها الإنسان السوي بأجيال عديدة، وبهذا يعتبر المجرم إنسانا ولد بطريق الصدفة في العصر الخطأ، ولذلك فليس بوسع إنسان كهذا إلا أن يكون متوحشا يمثل عصرا متوحشا ينتمي إليه وينسجم معه.

وهذا الإرتداد الوراثي يؤدي إلى ضعف مقاومة الفرد للمواقف والفرص الإجرامية، الشيء الذي يجعله غير قادر على الإنضباط والتكيف مع الضوابط والأعراف والقوانين الإجتماعية، وغير قادر على مسك نفسه تجاه المغريات أو المواقف الإجرامية المناسبة. وهذا يعني وجود اندفاع شبه آلي إلى الفعل والسلوك الإجرامي عند الأفراد الذين تتوفر لديهم استعدادات إجرامية.<sup>1</sup>

وقد توصل لومبروزو إلى الإقتناع بالصفات الإرتدادية والإنحطاطية عند بعض المجرمين بعد فحصه لجمامج المئات من المجرمين، وخاصة جمجمة المجرم "فيليليا"، إضافة إلى فحصه لأحد الجنود يدعى "ميديا" الذي خدم عدة سنوات في الجيش الإيطالي ولم يُعرف عنه سوء الخلق، ولم يكن ذكيا، وفجأة طارد هذا الجندي 8 أفراد من رؤسائه وزملائه وقتلهم، وسقط بعد ذلك فاقد الوعي، وبعد دراسة لومبروزو لهذه الحالة تبين له أن الجندي يجمع صفات أشد الحيوانات توحشا، كما أنه مصاب بالصرع، وقد عزي لومبروزو ذلك إلى عوامل وراثية، كما خلص إلى وجود علاقة شبه مباشرة بين الإجرام ومرض الصرع أو الجنون. أي أشار إلى وجود سمات جسمية وعقلية مريضة متكونة لدى المجرمين منذ ولادتهم. ومن هنا غلب لومبروزو دور الوراثة على ما عداها من عوامل أخرى.

وبعد كل تلك الدراسات التي قام بها لومبروزو، توصل إلى مجموعة صفات وسمات جسمية ونفسية ومزاجية وعقلية تتشابه لدى المجرمين، واعتبر أن هذه السمات البيولوجية والنفسية تشكل في مجموعها اندفاعات فطرية نحو الجريمة لدى الشخص المجرم أكثر من سواه من

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، علم الأنثروبولوجيا الجنائي، مرجع سابق، ص 50.

الأفراد الأسوياء. وقد أطلق لومبروزو على تلك الصفات والسمات مصطلح "وصمات الإنحلال" معتبرا إياها صفات مميزة لتشخيص المجرم وليست سببا بحد ذاتها لارتكاب السلوك الإجرامي، وإن كانت تزيد من قابلية الفرد وتضاعف استعداداه لارتكاب الجريمة. وفي عام 1876م نشر لومبروزو كتب كتابه الشهير "الرجل المجرم"، الذي دافع فيه عن الطرح القائل بوجود علاقة ثابتة بين التكوين العضوي للمجرم و سلوكه الاجرامي.

لقد سمح له عمله كطبيب وأستاذا للطب الشرعي بجامعة تورين وكضابط في الجيش الإيطالي من تعميق بحوثه الأنثروبولوجية على الجنود المنحرفين وقد جاءت حصيلة هذه الأبحاث الوصفية المقارنة، وجود بعض الخصائص العضوية التي تميز المجرمين عن سواهم. التي توسعت لتشمل الأحداث المنحرفين المتواجدين بمراكز إعادة التربية، و المجرمين الراشدين من الرجال و النساء على اختلاف أعمالهم الإجرامية، كما أفضت المقارنات التي أجراها بين الخصائص العضوية لهؤلاء المجرمين و السمات الجسمية للإنسان البدائي إلى تأكيد الطابع الوراثي للإجرام.

حيث قام العالم لومبروزو بدراسة و فحص 386 جمجمة لمجرمين وحوالي آلاف من المجرمين الأحياء معتقدا في الأخير بأنه توصل إلى رسم ملامح المجرم بالولادة وهو ذلك المخلوق المحدد مورفولوجياً بسمات وخصائص بيولوجية فيزيولوجية تجعل منه مجرماً وتسمح لنا بالتمييز بينه وبين الأشخاص العاديين بسهولة ( وحسبه يتميز بحفيرة في مؤخرة الرأس قريبة أو شبيهة من تلك التي نجدها عند الثدييات على نقيض تلك التي نجدها عند الأشخاص العاديين وهي ما تعادل عند لومبروزو الردة أو النكسة الوراثية).<sup>1</sup>

بالإضافة إلى انه شاذ في تكوينه يلاحظ في ملامحه عدم انتظام جمجمته وأسنانه وضيق جبهته وضخامة فكيه وكثافة الشعر في رأسه وجسمه و طول أذنيه أو قصريهما وفرطحة أنفه وعدم استقامته وطول مفرط في أطرافه.

<sup>1</sup> - ليلي محمد يسعد، دروس في مقياس الأنثروبولوجيا الجنائية، مرجع سابق، ص 16.

وهذا ما توصل إليه بعد ما أثار انتباهه لدى تشريحه لجثة قاطع طريق يدعى **فيليبا** وجود إذ لاحظ تجويف في قاع الجمجمة يشبه ذلك الموجود لدى الحيوانات السفلى كالقردة ولم يكن **فيليبا** سوى لصا محترفا يتسم بخفة غير عادية في حركته مع شعور واضح بالزهو بنفسه و التهكم و السخرية القاسية من الآخرين.

كما اكتشف عند مجرم آخر **قيرسيني** بعض خصائص الإنسان البدائي في تكوينه الجسماني وقد قتل هذا المجرم حوالي 20 امرأة بطريقة وحشية، واعترف بأنه كان يشرب دماء ضحاياه ثم يقوم بدفن جثثهم في أماكن أعدها لذلك. وبعد فحص الحالة الثانية خلص إلى ما يشبه الحالة الأولى من كونه يتوفر على خصائص الإنسان البدائي في تكوينه الجسماني كما أن له خصائص الحيوانات المفترسة، وهنا تكونت لدى لومبروزو قناعة مفادها أن **المجرم وحش بدائي** له صفات خاصة انتقلت إليه عن طريق الوراثة و انه مطبوع على الإجرام.<sup>1</sup>

وقد لخص لومبروزو الصفات الإرتدادية - **وصمات الإنحلال** - بما يلي:

- **الصفات الجسمية:** وهي صفات تشخيصية وليست سببية تتمثل في:

- عدم انتظام في شكل الرأس (اختلاف حجم وشكل الرأس على النمط الشائع في السلالة والمنطقة التي ينتمي إليها المجرم) - عدم انتظام وتشابه نصفي الوجه - الوزن الدماغي عند المجرم أقل منه عند الإنسان السوي غير المجرم - ضخامة الفك أو طول الفك (كبر زائد في أبعاد الفك وعظام الوجنتين) - استتالة غير طبيعية للرأس - بروز عظام الخدين - إلتواء الأنف أو اعوجاجه أو فلتحته أو مشابهته للمنقار أو وجود بروز فيه - ضيق الجبهة وانحدارها - تشوهات في العينين - الذقن الخفيف الحاد (ذقن طويلة أو قصيرة أو مفرطحة كتلك التي عند القردة) - كبر الأذنين و بروزهما إلى الخارج بشكل يماثل أذني الشمبانزي - غزارة في شعر الرأس والجسم - طول مفرط في الذراعين - وجود أصابع في اليدين أو

<sup>1</sup>- ليلي محمد يسعد، نفس المرجع، ص16.

القدمين - عيوب في التجويف الصدري - شذوذ في تركيب الأسنان - كثرة الوشم على  
أجسام المجرمين.

- **الصفات النفسية والمزاجية والعقلية:** وهي أيضا صفات تشخيصية وليست سببية،  
وقد اشترط لومبروزو وجود خمس علامات على الأقل من علامات الارتداد كي  
يصبح الإنسان مجرما بالفطرة وتتمثل في الصفات التالية:

- ضعف الوازع الديني - اللامبالاة وعدم الشعور بالذنب أو الشعور بالشفقة - عدم التبصر  
- الميل إلى الإعتقاد بالخرافات - عنف المزاج والغرور - الميل الشديد نحو الكحول -  
الشعور الدائم بعدم الإستقرار - عدم احترام النساء - الميل إلى الكسل - الميل نحو الوشم<sup>1</sup>  
- الإندفاعية الشديدة في التصرفات الآتية وعدم السيطرة على النفس - الشعور الدائم بعدم  
الإستقرار النفسي والعاطفي.

وبالإضافة إلى الصفات السابقة فقد ذكر لومبروزو بعض الصفات الأخرى التي تختلف من  
شخص إلى آخر باختلاف أنماط الجرائم، وهي ذات طابع شمولي بين جميع أصناف

---

<sup>1</sup> عام 1864م أثار اهتمام لومبروزو الوشم الموجود على أجسام بعض الجنود المنحرفين ومدى فحش بعضها مقارنة  
بجنود - أسوياء وقد فسر ذلك بعدم اكتراثهم للألم و حاول الربط بين الجنود المجرمين و غير المجرمين و الأوشام  
الموجود على أجسادهم، كما رأى أن أغلب جرائمهم تتعلق بالأشخاص و الجنس و هذا ما يدل على غلاظة و جفاف  
طبعهم وعدم إحساسهم بالحياء.

المجرمين، منها: ضعف الإحساس بالألم المعنوي في مقابل زيادة الإحساس بالألم البدني والقابلية الشديدة لالتئام الجروح وسرعة الشفاء من الأمراض. وقد اعتبر لومبروزو أن هذه الصفات الشمولية في مجموعها أكثر أهمية من الصفات والسمات المفصلة التي ذكرها سابقاً، لأن أساسها بيولوجي فعلاً.

لم تكن فكرة لومبروزو هي تأسيس نظرية جنائية وراثية بل إيجاد معيار أو نمط تفاضلي بين الجاني والمريض العقلي. ولقد أثبت أن المجرم هو في الواقع مريض يعاني من تشوهات دقيقة في الجمجمة. يعتقد لومبروزو أن المرضى العقليين يجب ألا يكونوا في السجون بل في المعاهد التي تستهدفهم حصرياً. أي أن يتم احتجازهم في أماكن للمجرمين (مصحات للمجرمين).

رغم النتائج التي توصل إليها لومبروزو من اعتباره للإنسان المجرم بأنه طبع على الإجرام بالفطرة أو بالميلاد، فإنه عدل من نظريته وقسم المجرمين إلى طوائف مختلفة واعتبر أن المجرم بالفطرة أو بالميلاد أخطرهم كما أنه أرجع أسباب الإجرام إلى عوامل عديدة منها ما يتعلق بالتكوين الداخلي والخلل العقلي والاضطراب العاطفي ومنها ما يتعلق بالبيئة لكنه رجح منه العوامل البيولوجية على دور البيئة التي تبقى بنظرة محدودة الأثر في حقل الإجرام.<sup>1</sup>

غير أن المقارنات الواسعة التي عقدها لومبروزو بين المجرمين والأسوياء من الجنسين فضلاً عن الانتقادات اللاذعة التي وجهت لنظريته جعلته يؤكد أن وجود واحدة أو أكثر من هذه الخصائص في الإنسان لا يعني أنه مجرم بالميلاد إنما اجتماع هذه الصفات معظمها أو جميعها هو الذي يكشف عن ميوله الإجرامية الوراثية، كما أن مجمل هذه الصفات الارتدادية لا توجد عند جميع المجرمين ولكن عند معظمهم مما قاده في الطبعة الثالثة من

---

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، علم الأنثروبولوجيا الجنائي، مرجع سابق، ص 52.



كتابه الشهير إلى تصنيف المجرمين إلى فئات خمس لكل منها ملامحها العضوية والنفسية الخاصة:

تصنيف لومبروزو للمجرمين: والتي صنفها إلى خمسة أصناف كما يلي:<sup>1</sup>

#### أ- المجرم بالولادة أو المجرم المطبوع **Born Criminal**:

وهو الذي يكون مجرماً نتيجة للارتداد الوراثي، ويحمل خمسة سمات أو أكثر من السمات التي حددها لومبروزو، تمثل هذه الفئة النسبة الغالبة من العائدين إلى الجريمة إذ يقضي عقوبة السجن وهو يفكر في جريمة جديدة، وهذا المجرم الأشد خطورة والأصعب معالجة ولا يرجى صلاح أمرها ولا سبيل إلى الوقاية من شرورها إلا بإبعادها نهائياً عن المجتمع إما بإعدامها أو باحتجاز أفرادها احتجازاً مؤبداً. أي أن مواصفات هذه الفئة جعلت من لومبروزو يجزم بعدم فاعلية العقاب القانوني في ردع هؤلاء، فالدوافع البيولوجية الوراثية التي تغذي قبولها على الإجرام لا يمكن بأي حال من الأحوال علاجها أو استئصالها مما يستوجب استئصال هذه الفئة نهائياً من المجتمع.

#### ب - المجرم المجنون **Unsane Criminal** :

تضم هذه الطائفة أشخاصاً مصابين بأمراض عقلية وراثية أو طارئة، والذي يرجع إجرامهم إلى مرض الصرع أو مرض عقلي تفقدهم ملكة التمييز بين الخير والشر فيقعون في ارتكاب الجريمة وهم يشبهون في تصرفاتهم المجرم بالفطرة، حيث لا يشكلون فئة متجانسة وهذا ما استدركه لومبروزو في الجزء الثاني من الطبعة الرابعة لكتابه مشيراً إلى إنصاف المجانين وهو عادة من ينفذون محاولات الاغتيال ضد رجال السياسة، وهؤلاء يمكن تصنيفهم في مرتبة وسط بين الجنون الكامل و الاتزان العقلي، فضلا عن أولئك الذين يرتكبون جرائم

<sup>1</sup>- محمد سيد فهمي، الخدمة الاجتماعية في مجال الجريمة والعقاب، دار الكتب والوثائق القومية، الإسكندرية، 2012، ص 77-78-79.

بشعة بدون دافع والشواذ جنسيا ممن ينجذبون إلى جنث الموتى والمصابين بالجنون الوراثي ومرضى الصرع. عموما فان جميع الجرائم الغريبة التي لا يمكن تفسيرها علميا يكون وراءها مجرمون مجانين، لذلك ينصح لومبروزو بوضعهم في مصحات عقلية تسمح بعلاجهم و اتقاء شرورهم أو يعدمون إذا كان جنونهم لا يرجى له الشفاء. وانتهى لومبروزو بأن قسم المجرمين المصابين بأمراض عصبية إلى ثلاث فئات وهي:

- **المجرم المجنون:** وهو شخص مصاب بمرض عقلي ويدخل في هذه الفئة حالات الهستيريا والإدمان المزمن على الخمر والمخدرات.

- **المجرم الصرعي:** وهو مصاب بصرع وراثي غالبا وإذا تطور الصرع زادت مضاعفاته تحول إلى مرض عقلي صريح وأصبح مجرما مجنونا لا مجرما صرعيا فحسب.

- **المجرم السيكيوباتي:** وهو شخص مصاب بتخلف في نمو الحاسة الخلقية ويعبر عنه في بعض المراجع بالتخلف النفسي أو الروحي.

### ج - المجرم بالعادة Criminaloid :

وهو المجرم الذي يكون نتيجة للارتداد الوراثي ويرتكب الجريمة نتيجة لذلك، و يرتكب أول جريمة له في الغالب في سن مبكرة وبتأثير ظروف اجتماعية قاهرة، يلعب إفلاته من العقوبة القانونية في البداية دورا هاما في ارتكابه لجريمة ثانية ويلعب خضوعه للعقوبة القانونية فيما بعد دورا أساسيا في اكتسابه للسلوك الاجرامي لأن دخوله للسجن يتيح له الاحتكاك بالمنحرفين والمجرمين فيعتاد على ارتكاب الجريمة فيما بعد.<sup>1</sup> ويرتكب الجريمة وهو معتاد على ارتكاب جرائمه بتأثير ظروفه الإجتماعية السيئة التي أهمها اتصاله بالمسجونين وإدمانه الخمر والبطالة فيكتسب استعدادا إجراميا في ظل إهمال المجتمع له قبل وبعد دخوله للسجن ومعاناته من البطالة والفقر والتهميش يتحول من مجرم بالصدفة إلى مجرم بالعادة و لا يميزه

<sup>1</sup>- محمد سيد فهمي، الخدمة الإجتماعية في مجال الجريمة والعقاب، مرجع سابق، ص 78.

عن المجرم بالميلاد سوى تركيبته البيولوجية، ويصبح خطره على المجتمع كخطر المجرم بالفطرة وتكاد تنحصر جرائم هذا النوع في الإعتداء على الأموال. لهذا يؤكد لومبروزو على ضرورة الاهتمام بإصلاح الظروف الاجتماعية لهذه الفئة من المجرمين قبل ان تعتاد على الإجرام وتوفير فرص عمل طالما أن الباعث على ارتكابها للجريمة سبب اجتماعي بحت ولا علاقة له بالوراثة.<sup>1</sup>

## د- المجرم بالعاطفة Criminal by passion<sup>2</sup>:

لا يرتكب هذا النوع من المجرمين فعله الإجرامي إلا نادرا، ولا يكون ذلك بسبب تكوين وراثي خاص، أو تحت وطأة الظروف الاجتماعية القاهرة وإنما تأثرا بدوافع عاطفية المشحونة بالحب أو الكره والغيرة الحماس أو الدفاع عن الشرف لناشئ عنها سلوك إجرامي، لذلك غالبا ما يكون سلوكه الاجتماعي قبل ارتكابه للجريمة سويا. يتميز المجرم بالعاطفة بشعور مرهف وحساسية مفرطة ومزاج عصبي حاد فيندفع إلى ارتكاب الجريمة تحت تأثير ثورته الانفعالية ولذلك لا نجده في الغالب يخطط لجريمته ونادرا ما يختار الوسائل المناسبة لتنفيذها وقد يكون لديه اختلال عقلي في البداية ينتهي به إلى الجنون الصريح. وأغلب جرائم المجرم بالعاطفة عبارة عن جرائم اعتداء على الأشخاص أو جرائم سياسية. وهذا النوع من الجناة سريع الندم على جرائمه، ويحسن في تقدير لومبروزو عدم تعرضهم لعقوبة قد تفسده فتصنع منه مجرما بالعادة بفعل الاحتكاك بالمساجين، بل يستحسن إبعاده عن محيط الجريمة مع إلزامه بتعويض الضرر الذي أحدثه إن كان بالغا أو حبسه مع وقف التنفيذ، فإن وقف التنفيذ قد يحفز على سرعة التوبة، وإذا كانت عاطفته لا تهدأ فلا سبيل للوقاية منه إلا بإبعاده عن بيئته حتى يكون بمنأى عن المؤثرات التي حفزته إلى ارتكاب جريمته وإذا كان صغير السن فيودع ليعيش في عائلة شريفة لأجل غير مسمى.

<sup>1</sup>- عايد عواد الوريكات، نظريات علم الجريمة، مرجع سابق، ص 64.

<sup>2</sup>- محمد سيد فهمي، الخدمة الاجتماعية في مجال الجريمة والعقاب، مرجع سابق، ص 79.

## هـ - المجرم بالصدفة<sup>1</sup>: Pseudo Criminal

وهذا النوع من المجرمين يقترب الجريمة متأثراً بالوسط الذي يعيش فيه وبالظروف التي تحيط به كالحاجة الملحة والإغراء ويتميز بعدم قدرته على ضبط نفسه مع عدم تبصره بعاقبة فعله. وهو مجرم ليس به ميل أصيل للإجرام لكن به ضعف خلقي بحيث يخضع سريعاً للمؤثرات الخارجية فيعجز عن تقدير عاقبة فعله، وقد يرتكب جريمته بدافع من حب التقليد أو الظهور، ويحسن إبعاد هذا الشخص عن وسطه بإرساله إلى مستعمرة صناعية أو زراعية لأجل غير مسمى، وإلزامه بتعويض الضرر الذي تسبب فيه، لكن ينبغي عدم تعريضه لعقوبة تؤدي إلى اختلاطه بغيره من الجناة حتى لا يفسد وينقلب إلى مجرم بالعادة.

تضم هذه الطائفة أشخاصاً لا يتوافر لديهم الميل الفطري إلى الإجرام، لكنهم يتميزون بضعف الوازع الأخلاقي وعدم القدرة على مقاومة الإغراءات الخارجية فضلاً عن سوء تقديرهم للعواقب، فيقعون في ارتكاب الجريمة تحت وطأة ظروف شخصية واجتماعية طارئة و لا يرجعون إليها إذا اختفت هذه الظروف، المجرم بالصدفة شخص لا يستطيع في لحظة معينة مقاومة ظرف خارجي معين فيقع فريسة للإجرام، فهو عاجز عن مقاومة انفعالاته النفسية الحادة إزاء إغراءات البيئة الخارجية.

### 4.2- تصدع نظرية لومبروزو:

لقد لعبت البيولوجيا الجنائية دوراً هاماً في توجيه الأنظار إلى دراسة شخصية المجرم بحثاً عن الأسباب العضوية التي تدفعه إلى ارتكاب الفعل الإجرامي، إلا أنه ثمة حملة نقد عنيفة وجهت لها والتي استهدفت الإجراءات المنهجية التي وظفها لومبروزو (قصور في المنهج) وأخطاء التعميم التي وقع فيها ومصادقية النتائج التي توصل إليها. ولا بد من الإشارة إلى

<sup>1</sup> - محمد سيد فهمي، الخدمة الاجتماعية في مجال الجريمة والعقاب، مرجع سابق، ص 79.

النقد الذي أعاب على لومبروزو، تركزه على العوامل الوراثية للإجرام متجاهلاً دور العوامل النفسية والاجتماعية والجغرافية في نشأة السلوك الإجرامي.<sup>1</sup>

لقد اجتهد لومبروزو على الرد على المدرسة البلجيكية التي تطرقت إلى إبراز العوامل الاجتماعية للإجرام فصاغ نظريته عن المجرم بالميلاد والتي اتخذت هي الأخرى اتجاهها متطرفاً بحثاً عن ظاهرة الإجرام من منظور ضيق اختزل بوضوح أبعادها المتعددة والمتداخلة، لذلك قام العديد من العلماء بتفنيد نظرية لومبروزو من عدة نواحي مما أدى إلى إضعافها وبطلانها:

- إن نظرية الإرثاد الوراثي ليس لها أساس سليم في نظر بعض العلماء ومنهم نيكولاس بوندا الذي ذكر أن دراسات السلالات البشرية تؤكد أن الإنسان البدائي كان له صفات نفسية راقية متميزة عن الحيوان إن لم تصل إلى مرتبة رقي نفسية الإنسان الحديث.<sup>2</sup>

وانتقد ريتشارد كورن R.KORN<sup>3</sup> كل المحاولات التي من شأنها أن تمنح الأهمية القصوى للعوامل العضوية في تفسير الجريمة وأكد أنها محاولات تفتقر إلى العلمية والدقة في البحث (فيها قصور موضوعي لم يراع أن تكون تلك العينة ممثلة تمثيلاً جيداً)، وأن الفروق التي تحدث عنها لومبروزو ترجع إلى الصدفة ولا تعكس فروقا حقيقية بين المجرمين وغير المجرمين.

كما أثبتت الدراسات خطأ النتائج المستخلصة فيما يتعلق بالربط بين الجريمة وقلّة حجم و وزن الجمجمة (بأن جمجمة المجرم تقل عن جمجمة الرجل العادي التي تتراوح بين 1450 و 1300 جرام)، إذ أنه قد تأكد وجود الكثير من العباقرّة ممن تقل أوزان جماجمهم عن وزن جمجمة الرجل العادي ومع ذلك لم ينجرفوا في تيار الجريمة. ولعل من أبرزهم جارلس

<sup>1</sup>- حسن أكرم نشأت، علم الأنثروبولوجيا الجنائي، مرجع سابق، ص 53.

<sup>2</sup>- حسن أكرم نشأت، نفس المرجع، ص 54

<sup>3</sup>ليلي محمد يسعد، دروس في الأنثروبولوجيا الجنائية، مرجع سابق، ص 24.

**جورنيك** والذي بين عدم وجود فرق يذكر بين جمجمة المجرم وغير المجرم على النحو الذي ذهب إليه لومبروزو وبين أن ضعف التكوين عند المجرمين الناتج عن الوراثة يجعلهم متميزين عن غيرهم من الأشخاص العاديين وهذا الضعف يولد لديهم صراعا اجتماعيا قوامه عدم التكيف الإجتماعي مما يجعلهم أسرع استجابة لاقتراف الجرائم.<sup>1</sup>

- كما أخذ على هذه النظرية مبالغتها في إظهار العيوب الجسدية وما يتبعها من عيوب نفسية، كما أنها أنكرت تماما دور البيئة والظروف الاجتماعية كأبعاد أساسية في الجريمة، وهو ما دفع لومبروزو إلى تعديل نظريته في أعمال لاحقة عندما قرر بأن **الإجرام لا يورث في حد ذاته بل يورث استعدادا كامنا له تحركه البيئة الفاسدة.**

وهذا ما قدمه **أنريكو فيري**<sup>2</sup> والذي قام بنقد ما توصل إليه أستاذه لومبروزو في نظريته ومبالغته في أهمية العوامل الداخلية في تفسير الظاهرة الإجرامية خاصة ما يتعلق بالصفات الجسدية، ويرى أن السلوك الإجرامي ما هو إلا ثمرة حتمية لتفاعل ثلاثة أنواع من العوامل الإجرامية، **أولها العوامل الأنثروبولوجية** المتصلة بالشخص المجرم سواء التي تتعلق بالخصائص العضوية والنفسية للمجرم أو المتعلقة بالميزات الشخصية له كالسن والجنس والنوع والمهنة والحالة الاجتماعية، **وثانيهما العوامل الطبيعية الجغرافية** المرتبطة بالبيئة الطبيعية أو الجغرافية ومثالها الظروف الجوية وتأثير الفصول ودرجة الحرارة.... أما آخر تلك **العوامل هي العوامل الاجتماعية** وهي مجموعة من العوامل الخارجية التي تنشأ من البيئة الاجتماعية التي يعيش فيها المجرم.

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، مرجع سابق، ص 54.

<sup>2</sup> - ليلي محمد يسعد، مرجع سبق ذكره، ص 25.

### 3- النظريات البيولوجية الجنائية بعد لومبروزو

إن تصدع نظرية لومبروزو، لا يعني عدم صحة اتجاه المذهب البيولوجي بوجود عوامل بيولوجية للإجرام، بل على العكس حيث كان لنظرية لومبروزو أثرا كبيرا في فتح الطريق أمام الباحثين والعلماء للبحث والتعمق أكثر في دراسة أثر العوامل البيولوجية على الإجرام ولكن على أسس جديدة غير التي قال بها لومبروزو، ويمكن أن نسمي كل اتجاه ظهر بعد لومبروزو وحاول ربط السلوك الإجرامي بالعوامل البيولوجية اتجاها نيولمبروزياً. وهكذا ظهرت مدرسة علمية جديدة عرفت بمدرسة لومبروزو الجديدة، وهي بوجه عام ركزت على فكرة التكوين الفطري في تفسير السلوك الإجرامي.<sup>1</sup>

وعلى الرغم مما اتسمت به المدرسة الأنثروبولوجية الجديدة من طابع أوروبي بوجه عام ولم يقتصر الانتشار المعرفي لإنتاج المدرسة الوضعية الإيطالية في حدود إيطاليا بل تعداها ليشمل أوروبا بل امتد نطاقها إلى القارة الأمريكية منذ الربع الأول من القرن العشرين، حيث وجدت أفكار لومبروزو أرضا بكرة لتبعث أصول مدرسته من جديد، وهناك وجدت الأدبيات الوضعية في علم الإجرام المؤيدين والمدافعين حتى أولئك الذين حاولوا تصحيح بعض نقاط الضعف فيما يخص الطرح القديم لهذه المدرسة عن طريق إنتاج بعض الباحثين في الولايات المتحدة الأمريكية تكونت هناك مدرسة تكوينية في علم الإجرام تعتبر كمدرسة وضعية جديدة وانطلاقا من طرح روادها وهم أرنست هوتون، وليام شيلدون والزوجين جلوك شيلدون وإليانور. وهكذا برزت مدرسة لومبروزو الأمريكية لتمتد علم الإجرام الحديث بدراسات أنثروبولوجية متعددة.

<sup>1</sup> - أكرم نشأت، علم الأنثروبولوجيا الجنائي، مرجع سابق، ص 57 - 64.

### 1.3- الدراسات الأنثروبولوجية الجنائية الأوروبية<sup>1</sup>

انطلق من مدرسة لومبروزو الجديدة، علماء الأنثروبولوجيا الجنائية الأوروبيون في منطلق جديد لإثبات أثر إفرازات الغدد الصماء على السلوك الإجرامي<sup>2</sup>، خاصة الغدة النخامية<sup>3</sup>، التي تسيطر على إفراز معظم الغدد الأخرى لذلك يسميها العلماء بالغدة ذات السيادة.

- فقد قام **العالم كينبرج (Kinberg)** بإجراء عددا من البحوث على المجرمين في إيطاليا وبعض الدول الأوروبية وتوصل في النهاية إلى النتائج التالية:

---

<sup>1</sup>- أكرم نشأت، نفس المرجع، ص 57-64

<sup>2</sup>- والغدد كما يقرر علماء الطب نوعان: **غدد قنوية** و**غدد صماء**، تنتقل **الغدد القنوية** إفرازاتها عن طريق قنوات إما إلى داخل الجسم كالغدد اللعابية والبنكرياس والكبد، وإما إلى خارج الجسم كالغدد الدمعية والعرقية. أما **الغدد الصماء** فتأخذ المواد الغذائية التي ينقلها إليها الدم وتقوم بتحويلها إلى هرمونات ثم تعيدها إلى الدم ليوزعها على أجزاء الجسم دون الاستعانة بقنوات أو أوعية، ومن أمثلة هذه الغدد **الغدة النخامية** التي توجد في مؤخرة الرأس، و**الغدة الدرقية** ومكانها في الرقبة، و**الغدد فوق الكليتين**، و**الغدد الجنسية**. وبصفة عامة فإن اضطرابات الغدد تحدث اضطرابا حيويا وتشوها جسميا مما يسبب الاضطرابات النفسية. ونشاط الغدد قد يعتريه بعض أوجه الخلل، منها ما هو تكويني أصلي ومنها ما هو عارض يصيب الإنسان في مراحل معينة من عمره.

- <sup>3</sup> تسمى **الغدة النخامية** بالغدة الأساسية في الجسم لكونها المسؤولة عن إفراز العديد من الهرمونات الضرورية. وعلى الرغم من أن حجم الغدة النخامية لا يتجاوز حبة البازلاء، إلا أنها تكتسب أهمية كبيرة في الجسم، فقد سميت بالغدة الرئيسية، لأنها تفرز العديد من الهرمونات وتسيطر على عدد من الغدد الهرمونية الأخرى. وأن اضطراب الغدد النخامية يؤدي إلى البدانة المفرطة مما ينتج عنه غالبا شخصية معقدة حيث الشعور بالنقص والنبذ الاجتماعي، في حين خمولها يؤدي إلى الخجل والانعزالية، بل والجبن إلى حد ما. أما زيادة إفراز **البنكرياس** يجعل الشخص فظا غليظ القلب لا يقيم لآخرين وزنا ولا يوعي لهم حرمة، وزيادة إفراز **الغدة الدرقية** يقود إلى القلق وعدم الاستقرار والتوتر العصبي وسرعة الانفعال مما قد يدفع الفرد إلى الإضرار بالآخرين من خلال الأفعال المحرمة وغير المشروعة قانونا. بينما يؤدي **خمول هذه الغدد** وعجزها إلى تأخر عام في النمو الجسمي والعقلي مما يترتب عليه ما يسمى بحالة "الغباوة" وهذا له أكبر أثر في توجيه الفرد إزاء الانحراف والجريمة وذلك نظرا لان النقص الفطري يصاحبه عادة الشعور بالنقص.



- لوحظ أن المجرمين من القتل والسفاحين يتفشى فيهم عدم انتظام واضطراب في وظائف الغدة النخامية، وقصور وظيفي في نشاط الغدة الجنسية، ونشاط زائد في وظائف وإفرازات الغدة الكظرية<sup>1</sup>.

- لوحظ أن اللصوص من قطاع الطرق والنشالين<sup>2</sup> يتفشى فيهم خمول في النشاط الوظيفي للغدة النخامية وعدم الانتظام الوظيفي في إفراز الغدة الدرقية.

- وفي نفس الإطار أشار الطبيب الإيطالي نيكولاس بندا إلى أنه استخلص من أبحاثه العديدة على المجرمين، أنهم يتفشى فيهم التركيبات العضوية الشاذة الناتجة عن القصور أو الخلل الهرموني الذي تفرزه الغدة النخامية. إلا أنه اعتبر أن هذا الخلل في الإفراز الغدي لا يؤدي وحده إلى السلوك الإجرامي، لكنه يعتبر عاملاً مهيناً ومساعداً، ولكي تؤدي هذه الاضطرابات إلى سلوك إجرامي لابد أن تقترن باضطراب في جوهر المخ.

- وكذلك العالم الإيطالي دي تيليو (De Tullio)<sup>3</sup> ونظرية الاستعداد الإجرامي انطلق من دراساته من نظريات التكوين العضوي التي تميز المجرمين من غيرهم من الأشخاص الأسوياء وتوصل إلى نظرية مؤداها أن سبب اتجاه الفرد إلى الإجرام يكمن في تكوين شخصية المجرم. وقد عبر عن هذه النظرية في كتاب نشره عام 1929م بعنوان "التكوين الإجرامي". وقد عرض فكرته قائلاً، إن الاستعداد الموجود في تكوين بعض الأشخاص يمكن اعتباره جوهرياً في اتجاههم إلى السلوك الإجرامي.

إذ كما أن للإنسان تكوين نفسي وتكوين عقلي وتكوين عصبي بل وتكوين يجعله قابلاً للإصابة بأمراض معينة كالسل والتهابات المسالك البولية وغيرها له أيضاً تكوين إجرامي. وهذا التكوين الإجرامي هو نفسه الشخصية الإجرامية وأن من يرتكب الجريمة إنما يرتكبها

---

<sup>1</sup>- تقوم الغدة الكظرية على إنتاج هرمون الكورتيزول (هرمون الإجهاد) الذي يساعد في الحفاظ على مستويات ضغط الدم والسكر في الجسم، ويتم إنتاجه بكميات أكبر تحت ضغط الإصابة أو المرض.

<sup>2</sup> - النَّشَالُ: هو الخفيفُ اليد من اللصوص، السارق على غِرَّةِ نَشَلٍ مَحْفَظَةً: سرقها، حَظَفَهَا بِخَفَّةٍ يَدٍ وَرَشَاقَةً

Les pickpockets

<sup>3</sup>- أكرم نشأت، مرجع سابق، ص 64

بسبب التكوين الخاص لشخصيته فهذه الشخصية لها صفات عضوية ونفسية خاصة قد تكون وراثية أو مكتسبة تميز صاحبها عن غيره من الناس الأسوياء وتدفعه للسلوك الإجرامي.<sup>1</sup> كما قسم دي تيليو التكوين أو الإستعداد الإجرامي إلى قسمين، الأول: استعداد أصيل أو تكويني، والثاني استعداد عارض. والإستعداد الإجرامي الذي ينشأ مع تكوين الفرد نفسه فإنه يكون ثابتا ودائما لدى الشخص. أما الإستعداد العارض فيرجع أساسا إلى عوامل شخصية وأخرى بيئية أو اجتماعية تعترض الفرد فتضعف مقاومته لرغباته ومشاعره وقدرته على ضبط نفسه فيندفع على ارتكاب الجريمة وقتيا مثال ذلك عدم قدرته السيطرة على مشاعر الحقد والغيرة الشديدة. غير أن هذا الإستعداد عارض يزول باستعادة الشخص السيطرة على انفعالاته وهو مصدر الجرائم غير الخطرة ويوجد هذا الإستعداد لدى طائفة المجرمين بالصدفة أو بالعاطفة.<sup>2</sup>

وقد توصل دي تيليو من أبحاثه العديدة التي أجراها على مئات المجرمين الموجودين في سجون روما أنه لم يصادفه مجرم معتاد واحد قام بفحصه ولم يجد عنده خلاا تكوينيا أو قصورا وراثيا يصيب جهازه الهرموني. إلا أن تأكيد دي تيليو على أثر الخلل في الإفرازات الهرمونية للغدد على السلوك الإجرامي لا يعني أنه ربط هذا السلوك الإجرامي بالإختلالات التي تصيب وظائف الغدد فقط، وإنما كان ذلك التأكيد في إطار تفسيره الأوسع لموضوع التكوين الإجرامي الفطري لدى الفرد. حيث قدم دي تيليو منهاجا علميا متكاملًا لدراسة أعراض الشخصية الإجرامية، فأوضح أن دراسة مثل هذه الشخصية قد تكون من النواحي المورفولوجية (شكل الجسم الخارجي) والفسولوجية والنفسية. فالناحية المورفولوجية تتناول شكل جسم الإنسان وملامحه الظاهرة، والناحية الفسولوجية تتناول وظائف الجسم كوظائف أجهزة التنفس والدورة الدموية والهضم والتناسل، بالإضافة إلى وظائف الغدد الصماء. أما من الناحية النفسية فتتناول الغرائز الإنسانية، واعتبر بالتالي أن التكوين الإجرامي الفطري، هو

<sup>1</sup> -محمد رمضان بارة، مقرر "مبادئ علم الإجرام" لطلبة الجامعة المفتوحة، مرجع سابق، ص 67

<sup>2</sup> -محمد رمضان بارة، نفس المرجع، ص 69-70.

استعداد طبيعي يمثل نزعة فطرية تدفع الفرد إلى ارتكاب الجريمة، كما أن هذا التكوين الفطري يختلف باختلاف أصناف المجرمين، حيث صنف دي تيليو المجرمين من حيث تكوينهم الفطري إلى 4 أصناف:

1- المجرم ذو النمو الناقص

2- المجرم ذو الإتجاه العصبي

3- المجرم ذو الإتجاه السايكوباتي

4- المجرم ذو الإتجاه المختلط، الذي يجمع كل الصفات السابقة.

- وفي نفس الإطار قام العالم الألماني كريتشمر (Kretschmer)<sup>1</sup> بتأسيس نظريته المعروفة

"بنظرية البناء (Body- build Theory). ويعتبر كريتشمر الطبيب النفسي

الجسمي" الألماني من رواد ما يسمى اللومبروزية الجديدة وكذلك من رواد نظريات التكوين

الحيوي مع الفقيه الألماني "إدوارد فيرجر". ولم يهتم كريتشمر بالجريمة ولم يذكرها حتى سنة

1936 أو بعد ذلك، عندما أراد أن يربط بين النمط الجسمي وبعض أشكال الأمراض

العقلية.<sup>2</sup>

قام بالبحث عن نموذجية جديدة للمجرم من خلال دراسة لأسباب الجريمة وعلاقتها بالتكوين

العضوي والبنية. وقد ذهبت هذه النظرية إلى القول بوجود بعض الخصائص الجسدية أو

الفسولوجية العامة التي تطبع الشخصية بطابع معين، وتفسر ما لديها من ميل إلى الإجرام

أو نفور منه.<sup>3</sup> ولإثبات هذه العلاقة أجرى كريتشمر دراسة تناول فيها عددا كبيرا من المجانين

في سوابيا (4000 حالة)، وأعلن أنه وجد أن هؤلاء المجانين يشكلون نموذجا بدنيا معيناً،

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، الأنثروبولوجية الجنائية، مرجع سابق، ص 64

<sup>2</sup> - عياد عواد الوريكات، نظريات علم الجريمة، مرجع سابق، ص 81

<sup>3</sup> عدلي محمود السمري، علم الاجتماع الجنائي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط 2، عمان، 2011، ص 88. -

وبناء تكوينيا يمكن تمييزه ببعض السمات الجسمانية والعقلية. فقد حاول أن يربط بين التكوين الجسماني وبين العقل، فقدم بعض النماذج البشرية العامة التي اعتقد بانطباقها على جميع الناس بصرف النظر عن أجناسهم وطبقاتهم الإجتماعية، هذا فضلا عن انطباقها على المجرمين أيضا. وقد صنف كريتشمير البنية البشرية في أربع نماذج أساسية هي:

1- النموذج النحيل: وهو هزيل وقليل الوزن، ويتميز بأطراف نحيلة وكتفين ضيقين، وذراعين ضعيفين ناقصي النمو، ومن صفاته المزاجية أنه بارد العاطفة وانطوائي.

2- النموذج المصارع: الذي يتميز بقوة العضلات وصلابة العظام، ويكتفين عريضين وشعر كثيف، ومن صفاته المزاجية أنه يتمتع بالثبات والإتزان والهدوء، وشرس.

3- النموذج الممتلئ: يتصف بصغر واستدارة الحجم، ومن الخواص البدنية لهذه الفئة، تتركز طبقة دهنية في وسطهم، يغلب على هذا النموذج الصلح، ويتمتع هؤلاء بخاصية مزاجية مرحة كما أنهم اجتماعيون.

4- النموذج المختلط:<sup>1</sup> ويتميز بالتراكم الجسدي المتفاوت وهو أيضا خليط من الصفات المشتركة السابقة للأنماط آنفة الذكر. وقد أدرك وجود نمط خامس حيث يختلف أعضاؤه في خواصهم البدنية عن سابقهم وأرجع ذلك إلى إمكانية إصابتهم بحالات مرضية ينجم عنها عدم ضبط وتوازن أنزيمات الفرد عندهم.

والحقيقة أن هذه النموذجية الجديدة فتحت الباب إلى دراسات لاحقة، تناولت تصنيف المجرمين وفقا لمثل هذه النماذج الجسمية والعقلية. حيث قام العالم النمساوي أدلف لنز<sup>2</sup> بدراسة توصل من خلالها إلى تحديد أصناف الجرائم والخواص الإجرامية للنماذج التي توصل إليها كريتشمير على الأساس التالي:

<sup>1</sup> - عياد عواد الوريكات، نظريات علم الجريمة، مرجع سابق، ص 82.

<sup>2</sup> - حسن أكرم نشأت، الأنثروبولوجية الجنائية، مرجع سابق، ص 64.

1- **واهن البنية الضعيف:** يرتكب جرائم السرقة والنصب والاحتيال.

2- **الرياضي المتين:** يرتكب جرائم العنف والجرائم الجنسية.

3- **القصير البدن:** يرتكب جرائم التزييف والتزوير.

ولقد لقي البناء العام للجسم أو الطابع الجسدي كتفسير للسلوك الإجرامي اهتماما ملحوظا، خاصة بعد أن وضع **كريتشمر** تصنيفا للبنية البشرية، والتي تأثر بها إلى حد كبير **الأمريكي شلدون**.

### - نظرية تشارلز جورنج Charles Goring:<sup>1</sup>

منذ عام 1901م بدأ **جورنج** - وكان طبيبا بسجون إنجلترا- بدراسات إحصائية مقارنة أجراها على ما يقرب من ثلاثة آلاف من المجرمين العائدين وعلى مجموعات كبيرة من الإنجليز غير المجرمين تضم بصفة خاصة طلبة المعاهد والمرضى بالمستشفيات والضباط والعاملين بوحدات الجيش البريطاني. وقام بتقسيم المجرمين إلى مجموعات بالنظر إلى نوع الجرائم المرتكبة وقام بفحص حجم الجمجمة، وطول القامة، وشكل الأذنين، والجمجمة، مقارنة في ذلك بين كل المجموعات الأخرى من المجرمين وبين ما يتوافر لدى المجرمين من خصائص بدنية وما يتوفر لدى غيرهم من الأسوياء.

وكان هدف **جورنج** من هذه الدراسات أن يتبين مدى انتشار علامات الرجعة أو الردة الوراثية بين المجرمين والتي استعرضها **لومبروزو** بين المجرمين في مقارنة بعامة الناس. وقد انتهى من أبحاثه التي استغرقت قرابة اثني عشر عاما إلى أنه لا توجد فوارق ملموسة بين طوائف المجرمين المختلفة، أو بين المجرمين وغيرهم من الناس من حيث توافر

<sup>1</sup> - عدلي محمود السمري، علم الاجتماع الجنائي، مرجع سابق، ص 80-81-82..

علامات الرجعة لديهم أي لا يوجد فروقاً في التكوين العضوي وعلامات الارتداد والشذوذ التي تؤكد اختلاف المجرمين.

وقد خلص "جورنج" من دراساته هذه إلى النتائج التالية:

- لاحظ جورنج أن المجرمين يتميزون بصفة عامة بنقص في وزن الجسم وطول القامة، فهم أقصر من غيرهم وفي الوزن هم أيضاً أقل من غيرهم. ويعتقد جورنج أن هذا النقص البدني حقيقة لها أهميتها إذ هو دليل على انحطاط عام موروث في طبيعة المجرم يتأكد بفحص وفي قياس مستواه العقلي وغير ذلك من العوامل التي يكون للوراثة دخل فيها، وفي هذا الانحطاط يكمن الميل إلى الجريمة.

- لقد حاول "جورنج" الانفصال كلية عن نظرية "لومبروزو" وحاول تفسير ظاهرة الإجرام طبقاً لنظرية "الانتقاء الطبيعي" التي توضح من الجهة الاجتماعية الصلة بين الخصائص التي لاحظها لدى المجرمين وبين جرائمهم فيقول: أن الأقوياء جسماً وأنضج عقلاً يستطيعون كسب رزقهم بسهولة، فهم لا يقدمون على السرقة وبالتالي فهم أهدأ نفساً فلا يُثارون بسهولة، ومن ثم فلا يقدمون على جرائم العنف، كما يستطيع كل منهم الزواج وإشباع حاجاته الجنسية في صورة مشروعة، مما يبعده عن ارتكاب جرائم الإعتداء على العرض. والعكس صحيح فالضعاف جسماً أو عقلاً لا يستطيع التكيف مع المجتمع مما يولد لديهم ضعفاً من الوجهة الاجتماعية، ويعتبر هذا الضعف بدوره عامل إجرامهم.

ولقد حاول "جورنج" من خلال الدراسات الإحصائية التي قام بها عن طريق المقارنة بين الآباء والأبناء وبين الإخوة بالنظر إلى سلوكهم الإجرامي التدليل على وجود ميل موروث إلى الإجرام، وعلى أن ظروف البيئة كعامل إجرامي ليست سوى أهمية ضئيلة. وقد رأى أن هذا التشابه في السلوك الإجرامي لا يمكن تفسيره إلا بعامل الوراثة أو بظروف البيئة أو

بالأميرين معا، ثم حاول استبعاد أهمية العوامل البيئية، وقسم هذه العوامل إلى نوعين: التقليد، والظروف الإجتماعية.

### **2.3 - الدراسات الأنثروبولوجية الجنائية الأمريكية:**

اعتمد روادها على إتباع خطوات المنهج العلمي الوضعي في دراسة الظاهرة الإجرامية، وركزوا على أسلوب المقارنة كذلك بين المجرمين وغير المجرمين وخلصوا إلى وجود فروقات موروثية.

**1.2.3 - تأثر الأمريكي وليام شلدون (William Sheldon)<sup>1</sup> في كتابه عن أنواع الشباب الجانح بآراء كريتشمر إلى حد كبير والذي وضعه سنة 1949. وحاول أن يفرق بين المجرمين وغير المجرمين من ناحية شكل خلايا الجسم التي وجد منها ثلاثة أنواع: مستديرة رخوة، ومستديرة صلبة، ورفيعة هشة. وادعى أن هناك ثلاثة أنواع من الشخصية المزاجية، وثلاثة أنواع من الشخصية النفسية ترتبط بدرجة قوية بأنواع خلايا الجسم الخاصة بها، وذلك من خلال الدراسة التي قام بها ل200 بالغ صغير (الأحداث الجانحين) في هيئة للرعاية في بوسطن، حيث وصفهم بأنهم متوسطو الإنحراف ولقد درس هذه المجموعة لثمانى سنوات وحاول أن يبين دور علم النفس في السلوك الإنساني، واعتقد أنه لا يمكن لقيام بذلك دون الحصول على الأمور التالية: التكوين الجسدي وتاريخ النمو والسجلات الطبية والتحصيل الدراسي والذكاء والتاريخ العاطفي وتاريخ العلاقات الإجتماعية. ولقد طور شيلدون ما يسمى علم النفس التكويني، فهو يعتقد أن الجسم الإنساني ملموس وسجل حافل للتطور فمن خلاله تتعاقب الأجيال.**

<sup>1</sup> - عايد عواد الوريكات، نظريات علم الجريمة، مرجع سابق، ص 76.

واستخلص أن المنحرفين يختلفون عن غير المنحرفين في أنواع النماذج الجسدية الخاصة بهم، وأنواع النماذج المزاجية والنفسية التي تلحق بها. وافترض كذلك أن تلك الاختلافات تتجه ناحية الإنحطاط، وهذا الإنحطاط موروث.

ويذهب هذا الاتجاه أيضا إلى اعتبارات أخرى، هي أن الاستعدادات التكوينية التي توجد لدى الفرد من تشوهات و ضعف في القدرات العقلية ونقص في القدرات الجسمية؛ هي عائق من توافق صاحبها مع البيئة المحيطة به والتي يعيش فيها، مما يجعلها كمحركات للخروج عن تواضعات المجتمع والتمرد عليه بإتيان السلوك الإجرامي.

ان التفسير عند شيلدون أبعد من مجرد أن يكون ملامح مورفولوجية فقط كما جاء على مستوى طرح هوتون لشمث ثالوث مشكل من البناء العضوي و التكوين النفسي والتكوين العقلي للشخصية. وهنا يؤخذ على طرح شيلدون أنه لم يقم بتفسير معنى الإنحطاطية وكيفية انتقالها بالوراثة، هذا بالإضافة إلى قلة عدد الجانحين الذين اتخذهم عينة لدراسته.

### 2.2.3 - إرنست هوتون (Ernest Hooton 1887- 1945)<sup>1</sup>

- ومن الدراسات الأنثروبولوجية الأمريكية البارزة الأخرى التي تناولت موضوع البنية والتكوين الفطري، دراسات العالم الأمريكي إرنست هوتون (Ernest Hooton) أستاذ علم الأنثروبولوجيا بجامعة هارفرد الأمريكية، والذي يمثل المدرسة الوضعية الأمريكية التي أدت إلى بعث الاعتقاد من جديد في فكرة المجرم العضوي - المجرم بالولادة - ذات العلاقة المباشرة بالوراثة والسلالة على غرار المذهب اللومبروزي.

توصل هوتون إثر أبحاثه إلى أنه توجد فروقات مورفولوجية بين المجرمين وغير المجرمين من جهة، وبين المجرمين ذاتهم من جهة ثانية وهذا باختلاف الجرائم التي يرتكبونها. فقد استنتج "هوتون" من خلال دراسته الموسعة التي شملت عينة مكونة من أربعة عشر ألفا من

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، الأنثروبولوجيا الجنائية، مرجع سابق، ص 64.



المجرمين وغير المجرمين ونشر في كتابه - المجرم الأمريكي - الصادر عام 1939، النتائج التي توصل إليها خلال أبحاثه والتي انصبت على اعتبار المجرمين طبقة دنيئة، أو بنيتهم تتكون من أنواع عضوية رديئة أي اعتبار أن المجرمين أدنى عضويا من غيرهم والجريمة نتاج لتأثير البيئة على الكائنات الإنسانية المنحطة.

ونلخص فيما يلي بعضا مما توصل إليه هوتون خلال أبحاثه من قواعد وفرضيات، والتي أشار بها إلى العلاقة السببية التي تربط البنية والجريمة. وتمثلت تلك الفرضيات في اعتباره أن المجرمين رديئي الصنف من حيث أن جميع قياساتهم الجسدية تشكل انحرافا عما يتمتع به الأشخاص الأسوياء غير المجرمين. وتمثل رداءة البنية لدى المجرمين أهمية خاصة من حيث أنها تتطابق وتتلازم مع رداءة الفعل.

وبين أن التركيب العضوي للمجرم يختلف باختلاف نوعية الجرائم المرتكبة، حيث يرى أن القاتل مثلا يكون أقرب إلى الطول واللص أقرب إلى القصر والنحافة، ومرتكب الجرائم الجنسية أقرب ما يكون إلى الشكل الغليظ القصير. هكذا تبين له أن توفر نوع معين من الشذوذ البدني لدى المجرم يصاحبه ميل إلى ارتكاب نوع معين من الجرائم يختلف عن تلك لمجرم آخر يتوافر لديه نوع من هذا الشذوذ، كذلك هذه الملامح المورفولوجية هي ملامح تعبر عن إنحطاطية تكوينية، تعد عند هوتون سبب في حدوث السلوك الإجرامي. ويتبع ذلك أن التخلص من الجريمة لا يمكن أن يتم إلا ببتز غير اللائقين جسميا وعقليا وخلقيا أو بعزلهم عزلا تاما.

ووصف هوتون المجرمون بأنهم ذو جبهات منخفضة، وأنوف إما عريضة جدا، أو ضيقة جدا، وفكوك ضيقة، وبروز آذانهم والتواء حافتها الخارجية، وشفاهم رفيعة، وعيونهم زرقاء أو رمادية غير قائمة، وحدقات عيونهم غير متناسقة ورقابهم طويلة وأكتافهم مائلة. كما توصل أيضا إلى أن كل طائفة من المجرمين تتميز بخصائص معينة، فصفات القاتل

تختلف عن صفات اللص وصفات مرتكب جرائم العنف تختلف عن صفات القاتل واللس، وهكذا تختلف صفات مرتكب جرائم الجنس عن صفات المجرمين السابقين.

وأخيرا أفاد هوتون إلى أن السبب الأساسي في رداءة البنية لدى المجرمين بشكل عام يرجع إلى عامل الوراثة.

### نقد النظرية:<sup>1</sup>

يعتبر طرح هوتون مشابه كثيرا لما جاء به لومبروزو إلا أنه حاول تجاوز بعض النقد الذي وجه له عن طريق اعتماد مجموعة ضابطة مكونة من غير المجرمين، ولو أنها قد وجه نقدا بخصوصها لأنها لم تصل المجموعة الضابطة حتى ربع حجم المجموعة التجريبية، حتى فيما يخص عينة المجرمين فلم تكن بمعنى الكلمة معبرة عن مجرمين حيث اقتصر مجالها فقط على المسجونين.

من ناحية النقد النظري الموجه لهوتون فهو امتاز بتوجه عضوي بحث في تفسير الظاهرة الإجرامية في ظل تغييب كلي لدور البيئة الاجتماعية في ذلك وهذا عكس ما أقره بعض رواد المدرسة الإيطالية، كذلك لم يتمكن علميا ان يسن انتقال الصفات أو الملامح الإجرامية عن طريق الوراثة.

### 3.2.3- طرح الزوجين شيلدون وإليانور جلويك Sheldon and Eleanor Glueck:<sup>2</sup>

لقد كان لدراسة شيلدون آثارا متعددة استهوت الكثير من الدارسين في أوروبا وأمريكا، وخير من مثلهم في أمريكا دراسة شيلدون وجلوويك وكوتس جاثي، وفي بريطانيا دراسات كل من بارنيل وجنز، وفي دراسة علماء الجريمة في جامعة هارفرد إليانور جلويك وشيلدون جلويك اللذان بحثا العوامل الفسيولوجية كجزء من محاولة شاملة للكشف عن انحراف

<sup>1</sup> - عايد عواد الوريكات، مرجع سابق، ص75.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص 79-80.

الأحداث سنة 1950. حيث قاما بالإعتماد على ما ذهب إليه شيلدون في دراسة أثر البناء الحيوي-الإجرامي- عاقدين مقارنة بين 500 حدث منحرف و500 حدث غير منحرف كعينة ضابطة، ووجدوا أن النموذج الوسطي هو النموذج المسيطر.

فقد حدد العالمان 67 خاصية شخصية و42 خاصية أسرية، وحاولا الربط بين هذه الإستعدادات البيولوجية والمعطيات أو الشروط الأسرية البيئية وعلاقة ذلك بالإنحراف منطلقين من الافتراض أنه إذا كان هنالك علاقة بين البناء الجسمي والإنحراف فإن هذه الصفات سوف تختلف بشكل مهم في علاقتها بالإنحراف للنماذج الجسمية الثلاث، أي أنها سوف تتركز في نموذج أكثر من الآخر. إضافة إلى ذلك حاولا معرفة العلاقة بين العوامل الثقافية والاجتماعية والإنحراف في النماذج الجسدية البنيوية السوية الثلاث. وهكذا فحصوا 67 خاصية. وبناء على ذلك توصلوا إلى أن نموذج الوسط الأكثر ميلا للإنحراف والجريمة مقارنة مع النموذج الخارجي الأكثر حساسية للعوامل أو المتغيرات الاجتماعية.

وهكذا اتفقوا مع ما توصل إليه شيلدون وحاولا لاحقا تحديد الصفات والميول والإستعدادات الشخصية لدى مجموعة من الأحداث المنحرفين وقارنوها مع غير المنحرفين، ثم مقارنة هذه الوصفات لدى النماذج الثلاث (الداخلي والوسطي والخارجي) كما حددها شيلدون.

وأهم ما توصلوا بعد هذه الدراسة إلى اعتبار:

- أنه هناك اختلافات بين المجموعتين فيما يخص النواحي الجسمية والعقلية والمزاجية والاجتماعية.

- توصلوا إلى أن السلوك الإجرامي هو حصيلة تظافر كل من العوامل البيو- نفسية والعوامل الاجتماعية، كما أنه لا يمكن لأي باحث أن يفصل بيقين جازم أن سلوك إجرامي ما، هو إلا نتاج للعوامل البيولوجية أو حصيلة تأثير العوامل الاجتماعية، وإنما يستطيع الدارس فقط أن يرجح أثر عامل على عامل آخر فقط.

- انتهى الباحثان في كتابهما الأخير «البيئة الأسرية والجناح» إلى النظر إلى السلوك الإجرامي باعتباره متصلا في أحد قطبيه العوامل والسمات البيولوجية وفي القطب الآخر العوامل والسمات الإجتماعية.

#### نقد: 1

انطلاقا مما سبق فإنه يمكن تصنيف عمل الباحثان على أنه يمثل كذلك أعمال أنريكو فيري نسيبا، ضمن الاتجاه البيولوجي متعدد العوامل.

في دراسة أخرى أكد الباحثان على أنه عند دراسة الإنحراف المتكرر «العود» لا يمكن إرجاع سبب حدوثه لعوامل شخصية تتوقف عند مستوى الفرد العائد وإنما هو حصيلة عوامل عامة مركبة دوما.

والجدير بالذكر هنا فيما يخص تطور الطرح التكويني على مستوى المدرسة الأمريكية أنه ارتقى من مستوى المعالجة البيولوجية الوراثية للسلوك الإجرامي مع قليل من اللمسة الاجتماعية الشكلية فقط (طرح هوتون) لكي يصل إلى درجة الطرح البيولوجي متعدد العوامل الذي يشمل الجانب العضوي والنفسي والعقلي والاجتماعي وهذا مع أعمال الباحثين جلويك وشيلدون.

#### 4.2.3 - نظرية الكروموزومات The XYY Chromosome Theory<sup>2</sup>

لا تزال البحوث تجرى باتجاه إيجاد علاقة بين التكوين الفيزيقي والسلوك العدواني الإنحرافي، يقوم هذا الإتجاه على افتراض يقول أن بعض الخصائص الموروثة تعرض أصحابها لأن يسلكوا بطرق أو بأساليب إجرامية، كما أن الإختلال الوراثي في الكروموزومات سبب لبعض حالات السلوك الإجرامي أو السلوك المضاد للمجتمع.

<sup>1</sup>- ليلي محمد يسعد، دروس في مقياس الأنثروبولوجيا الجنائية، مرجع سابق، ص30.

<sup>2</sup>- عياد عواد الوريكات، مرجع سابق، ص 87

هذه النظرية التي تطورت في الستينات من القرن الماضي ماهي إلا محاولة أخرى لربط النقص البيولوجي عند الفرد بالجريمة. ومن المعروف أن الكروموزومات هي بناء معقد من الكائنات الحية وهي التي تحدد الخصائص المعينة عند الكائنات وكل خلية تحتوي على 23 زوجاً منها، أي 46 كروموزوماً، واحد من هذه الأزواج تحدد جنس الإنسان وصفاته الأولية والثانوية. ففي الأنثى الطبيعية حيث تتشابه الكروموزومات في الحجم ويرمز إليها بXX أي حسب شكلها، مقابل ذلك عند الرجل الطبيعي هنالك كروموزوم أصغر ويختلف في شكله ويرمز إليها بXY باتحاد البويضة مع الحيوان المنوي وتكون خلية تحتوي على 23 كروموزوماً، تتطور لتصبح جنيناً، وتحدث الانقسامات غير الطبيعية للخلية قبل تكوين الجنين وهذا يعني أن هناك أكثر من كروموزوم جنس (ذكر وأنثى). والنتيجة هي أن الجنين يحمل عدداً غير طبيعي من الكروموزومات الجنسية هذا الكروموزوم غير الطبيعي هو XYY أو أعراض **كلينفلتر**. ويرتبط وجود هذا الكروموزوم باتساع الصدر والتخلف العقلي المتوسط والكهولة والانحراف الجنسي ووجود أعداد كبيرة من حامله في المؤسسات العقابية. منها الدراسة التي ربطت بين السلوك العدواني وبين وجود كروموزوم ذكورة زائد عند الذكور يطلق عليه كروموزوم Y. دراسة أجراها **دوجدال** على تاريخ أسرة **جوك** لمدة 75 سنة حيث أجرى فحصاً على 1200 فرد من المنحدرين منها و تبين لهم من خلاله أنه قد خرج من هذه الأسرة 280 متسولاً، 140 مجرماً، 65 لصاً، 7 قتلته، 50 عاهرة و 440 مصاباً بأمراض سرية نتيجة للسلوك الجنسي المشاع و 30 طفلاً غير شرعي.

## الخلاصة:

برغم وفاء هذه الإسهامات للمنظور البيولوجي الذي أولى أهمية بالغة للعوامل الوراثية في نشأة الجريمة، إلا أنها ساهمت بقسط كبير في التحول الجذري الذي عرفه علم الإجرام، من خلال إهمالها للجانب المادي للجريمة، وتركيزها على الجانب الشخصي فيها. فالمجرم ينساق إلى ارتكاب الجريمة بناءً على عوامل بيولوجية لا إرادية، مما يسقط عنه المسؤولية الأخلاقية التي يبني التقليديون عليها أساس المسؤولية الجنائية. في مقابل ذلك، تترتب على المجرم مسؤولية اجتماعية باعتباره مصدر خطورة إجرامية على المجتمع، مما يخول له اتخاذ تدابير ضده، كوسيلة دفاع اجتماعي تهدف إلى توقي خطورته الإجرامية، وهي تدابير من نوعين: تدابير وقائية سابقة على وقوع الجريمة، ومن أمثلتها: مكافحة المخدرات والمسكرات، والتسول والتشرد والدعارة. وتدابير احترازية لاحقة لوقوع الجريمة وهي: إما استتصالية كالإعدام، أو علاجية كالوضع في مصحة استشفائية.

## المحور الثالث:

أثر العوامل البيئية في تكوين الفرد المجرم

(الإتجاه الإجتماعي)

1- البيئة العائلية

2- البيئة المدرسية

3- بيئة العمل

4- البيئة الترويحية

## مدخل تمهيدي: ماهو المقصود بالبيئة؟

لقد نشأ المذهب الإجتماعي لتفسير السلوك الإجرامي بظهور النظريات الإجتماعية التي ترى أن الجريمة وليدة البيئة الإجتماعية بمختلف ظروفها السياسية والإقتصادية والإجتماعية حيث قام أنصار هذا المذهب بعدة دراسات بينت لهم صلة السلوك الإجرامي ببعض العوامل الإجتماعية كالفقير والبطالة وتفكك الأسرة ورفاق السوء وغيرها. وإذا كانت دراسة تاريخ هذا المذهب تشير إلى أن بداية ظهوره كانت في أوائل القرن التاسع عشر. كما ان هذا الإتجاه لم يزدهر إلا بعد ظهور النظرية اللومبروزية ومهاجمتها من قبل بعض الباحثين ومحاولة البعض الآخر الدفاع عنها والتصدي لمهاجمتها.<sup>1</sup>

ويجمع الكثير من الباحثين والعلماء الذين يبحثون في موضوع الجريمة بوصفها ظاهرة اجتماعية، على أنها من الممكن ان تكون نتاج لعوامل خارجية لا تتعلق بشخصية الفرد المجرم بشكل رئيس وإنما تتصل بالوسط الذي يعيش فيه، ويكون من شأنها التأثير في سلوكه وتوجيهه نحو اقتراف الجريمة. هذه العوامل الخارجية هناك من يصطلح على تسميتها **بالعوامل البيئية.**

ويراد بالبيئة،<sup>2</sup> مجموعة الأوضاع والظروف الخارجية التي تحيط بالفرد وتؤثر على نحو ما في تحديد معالم شخصيته أو في توجيه سلوكه، وهي بهذا المعنى ترمز إلى علاقة خاصة بين فرد معين وظروف خارجية معينة. وتقتصر بيئة الفرد على الظروف الخارجية التي تحيط به شخصيا دون ما يحيط منها بسواه. ولذلك تختلف عناصر البيئة باختلاف الأفراد. وليس من الضروري مع ذلك أن تشمل بيئة الفرد كل الظروف الخارجية التي يتصل بها

<sup>1</sup> - محمد رمضان بارة، مقرر مبادئ علم الإجرام، مرجع سابق، ص 81.

<sup>2</sup> - يحيى خير الله عودة، "البيئة والسلوك الاجرامي دراسة نظرية في الانثروبولوجيا الجنائية"، مجلة الآداب، العدد 107، جامعة بغداد، ص 387، 423



بطريق مباشر أو غير مباشر، وإنما تقتصر البيئة على تلك الظروف القادرة على التأثير في الفرد.

وانطلاقاً من هذه العلاقة الخاصة بين الفرد والبيئة، فقد اتفق العلماء والباحثون على إطلاق مصطلح **البيئة النسبية** على هذه العلاقة، لأنها تقوم على أساس أمرين هما: **الإتصال بالظروف الخارجية والتأثر بها**. ويتفق الباحث تماماً مع فكرة البيئة النسبية، وإن كان يرى إطلاق مصطلح **البيئة السيكولوجية** على نفس الفكرة، لذلك فإن البيئة تنقسم من حيث تأثيرها على سلوك الفرد إلى نوعين: **بيئة واقعية وبيئة سيكولوجية**.

**فالبيئة الواقعية هي كل ما يحيط بالفرد من عوامل مادية طبيعية أو اجتماعية، سواء أثرت به أم لم تؤثر، أي هي البيئة كما هي عليه في الواقع.**

**أما البيئة السيكولوجية فهي تمثل البيئة كما يدركها الفرد ويشعر بها ويستجيب لها، أي هي البيئة التي تثير انتباه الفرد واهتمامه ونشاطه.**

ومن ذلك نجد أن العوامل والظروف الخارجية منها ما يؤثر على الفرد وسلوكه، ومنها ما يكون عديم الأثر فيه انتباهاً واهتماماً.

وتتأثر البيئة السيكولوجية بعدة عوامل منها: **سن الفرد وجنسه واتجاهاته وميوله وحاجاته وذكاؤه وقدراته وخبراته السابقة، أي تتوقف على شخصيته بأسرها**.<sup>1</sup>

**إن صفة النسبية -أو النفسية- هذه تجرنا إلى الصفة الثانية التي تختص بها البيئة، ألا وهي أن البيئة متكاملة أي يجب النظر إليها بوصفها وحدة لا تقبل التجزئة. فليس في وسع باحث أن يعزو سلوك الفرد إلى ظرف معين من ظروف بيئته، فالظرف الواحد مهما يكن تأثيره لا يقوى بمفرده على حمل تبعية السلوك بأكمله، وإنما سلوك الفرد يكون دائماً نتيجة**

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، مرجع سابق، ص 105-106.

تداخل جملة الظروف التي تكوّن بيئته، فضلا عن تكوينه الشخصي بطبيعة الحال، ذلك لأن ظروف البيئة ليست ظروفًا شاردة يعمل كل منها في معزل عن غيره، وإنما تتفاعل عناصر البيئة فيما بينها ثم تحدث في النهاية أثرها.

ومن الملاحظ أن الظرف الخارجي الواحد لا يتمخض عن ذات النتيجة بالنسبة لكل من يتعرض لهم من الناس بل إنه لا يحدث بالضرورة نفس الأثر بالنسبة للفرد الواحد إذا تعرض له في ظروف بيئية مختلفة، فالظروف البيئية إذا تداخلت فيما بينها فإن بعضها قد يعزز البعض أو ينقضه. وفي الحالة الأولى تمارس الظروف المتجانسة ضغطًا على الفرد، وفي الحالة الثانية قد يتعطل بعضها بتأثير البعض. ولهذا فصحة الأشرار في مجتمع المدرسة أو العمل وهي ظرف بيئي سيئ قد تتقلب ظرفًا عقيمًا إذا حظي الفرد بجو أسري سليم يحصنه ضد الآثار الوخيمة التي تقضي إليها تلك الصحة.

ونظرًا لانتساع وتعدد العوامل البيئية وأثرها على السلوك الإنساني، كذلك اتساع وتعدد العوامل والعناصر البيئية المؤثرة في السلوك الإجرامي ظاهرة الجريمة بشكل عام التي يهتم بدراسة علم الإجرام، فإنه يتحتم في الدراسة الأنثروبولوجية تحديد واستعراض العوامل البيئية ذات التأثير المباشر في تكوين الفرد المجرم فقط.

فعلم الإجرام يدرس المجرم والجريمة بوصفها ظاهرة في حياة الفرد وفي حياة الجماعة ولذلك فإن أسلوب دراسة أسباب الجريمة والعوامل المؤدية إليها يختلف باختلاف ما إذا كانت دراسة الجريمة تتعلق بوصفها ظاهرة في حياة الفرد أم أنها تدرس بوصفها ظاهرة في حياة المجتمع، فالعوامل والأسباب الدافعة للجريمة يمكن دراستها وفقًا للزاوية التي ينظر إليها.<sup>1</sup>

فعند بحث الجريمة بوصفها ظاهرة في حياة الفرد فذلك يعني دراسة الأسباب الداخلية والخارجية المحيطة بالشخص ذاته وبيان إلى أي مدى كان تأثيرها على الشخص بالقدر

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، نفس المرجع، ص 108.

الذي يدفعه إلى ارتكاب الجريمة، فإننا ندرس الأسباب الداخلية للشخص والبيئة الخاصة به دون غيره من المجرمين، وهذا هو ما يحتمله أسلوب البحث المستخدم في الدراسات الأنثروبولوجية.

أما دراسة الجريمة بوصفها ظاهرة في حياة الجماعة فإنها تحتم ان يؤخذ الاعتبار العوامل والأسباب التي لها صفة العموم بالنسبة لمجموع حالات الإجرام في المجتمع. بمعنى ان أسباب ظاهرة الإجرام بصفة عامة يتعين ان تكون عامة هي الأخرى. ولكي تتوافر لها تلك الصفة لا يشترط أن تتوافر بالنسبة لكل حالة فردية إجرامية بل يكفي ان تقوم بالنسبة للجزء الأكبر من الحالات ينتج عن هذا أن عاملا معيننا من عوامل الإجرام قد لا يكون له تأثير بالنسبة للحالة الفردية وإنما بالنسبة للمجموع الكلي لحالات الإجرام يكون له فاعلية معينة. كما أن هناك ظروفًا وعوامل خارجية لا تتعلق بالفعل الإجرامي ذاته من شأنها إما أن تدفع الشخص للتفكير في الجريمة وإما أن تسهل له ظروف ارتكابها.

**فمثلاً:** إذا لاحظنا أن الإجرام ترتفع نسبته بالنسبة لمجموع الأفراد غير المتعلمين وبالتالي نعتبر الجهل سبباً من ضمن الأسباب الخارجية للإجرام قد ينتفي أثره بالنسبة لحالة فردية معينة، بمعنى أن الباحث يخلص إلى انتقاء العلاقة بين جهل المجرم وسلوكه الإجرامي.

من كل هذا يستنتج أنه لبحث العوامل الخارجية للجريمة بوصفها ظاهرة في حياة المجتمع، يتعين أولاً دراسة العوامل والظروف التي تؤثر في ظاهرة الإجرام بصفة عامة في المجتمع، وهي ما يمكن أن تسمى بعوامل البيئة العامة المتمثلة بالبيئة الطبيعية، كالمناخ والموقع الجغرافي والموارد الطبيعية والكثافة السكانية، والبيئة الإجرامية العامة وتشمل: العوامل الاقتصادية والثقافية والسياسية، وثانياً العوامل والظروف التي تؤثر في ظاهرة الإجرام في حياة الفرد أو ما يسمى بالبيئة الخاصة بالفرد المجرم والمتمثلة بالبيئة العائلية والبيئة المدرسية وبيئة العمل والبيئة التروبية. وثالثاً العوامل والظروف الخاصة بتنفيذ

العمل الإجرامي أو ما يسمى بالبيئة الخاصة بالفعل الإجرامي والمتمثلة بالظروف المتعلقة بالمجني عليه وظروف تتعلق بالفعل الإجرامي ذاته.<sup>1</sup>

وتتمثل البيئة الخاصة في الأوضاع والظروف التي تحيط بالفرد، إذ لكل فرد بيئة خاصة تختلف عما لغيره من بيئات خاصة، وكما تختلف بيئة الفرد نفسه من وقت لآخر تبعا لتغير الأوضاع والظروف المحيطة به.

فالفرد منذ ولادته وحتى وفاته يعيش في بيئات مختلفة خاصة به، يتعرع فيها ويختلط بأشخاصها، فيتأثر بأشخاصها، فيتأثر بأخلاقهم وعاداتهم وسلوكهم، فالفرد يتلقى المعرفة المختلفة من البيئة الخاصة المحيطة به، كما يتلقى الأفكار والمعاني المختلفة لكثير من الوقائع التي تحدث في حياة الجماعة، وذلك وفقا للمفهوم الذي تعطيه لها الجماعة الصغيرة المحيطة به، وهنا يظهر التأثير الأول للبيئة الخاصة من حيث نقل الأفكار والمعاني المختلفة لظواهر الحياة التي تؤثر في طريقة تفكير الفرد وفهمه لأمر الحياة والعلاقات بين الناس وتفسيره للظواهر المتعددة.

فالجماعة الصغيرة المحيطة بالفرد التي تمثل بيئته الخاصة، تنقل إليه المبادئ والقيم والمثل التي يتبعها وتقوده في حياته وتحدد علاقاته بالآخرين، كما تنقل إليه المعيار المتبع في الحكم على الأشياء، وبالتالي فإن هذه الجماعة تؤثر على إرادة الفرد عن طريق ما يتلقى منها حول ما يجب وما لا يجب فعله. ولذلك نجد الفرد يأتي بتصرفات لا إرادية متأثرا بالمثل والقيم التي تسيطر على الجماعة ويتأثر بها تأثرا كبيرا، لأنه يشعر أنه جزء منها عليه أن يتبع المثل والقيم والتقاليد والعادات التي تسيطر على جماعته ويلتزم بصفته فردا منها.

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، نفس المرجع، ص 109.

ولما كانت الظروف أو العوامل البيئية متعددة وكثيرة، لذا سنقتصر على دراسة أهمها، وسنكتفي بدراسة العوامل المحيطة بالفرد والمتمثلة بالعوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية بحيث نحدد مفهوم كل عامل من هذه العوامل ومدى علاقته بالظاهرة الإجرامية.

وفيما يلي سنقوم باستعراض وبحث العوامل المتعلقة بالبيئة الخاصة للفرد المجرم وبيان أثرها في تكوينه:

### 1- البيئة العائلية:

تكاد تكون للبيئة العائلية أو لدراستها في مجال سببية الجنوح والجريمة نصيب الأسد في غالبية دراسات علم الإجرام المعاصر، فهي العامل المشترك الذي يقف عنده كل باحث في طبيعة الجنوح أو في دراسة طبيعة السلوك الإجرامي بوجه عام، باعتبارها مهد الشخصية والمحور الذي تدور حوله جميع عناصر تكوين الشخصية. فهي أول بيئة تحتضن الطفل بعد ولادته، وهي أول مصدر لتكوين خبرته في الحياة، وهي الجسر الذي يوصله إلى المجتمع وإلى حياته الجمعية، وهي المدرسة التي يتعلم من خلالها أسس معرفته الأولى ومبادئ ثقافته، وهي الجماعة الأولية الجوهرية التي ينتمي إليها الفرد دون اختيار. فعن طريق العائلة يشبع الطفل جميع حاجاته الطبيعية الأساسية، الاجتماعية والنفسية الحاجة إلى الأمن والحماية والرعاية والحب والعطف والقبول وإلى أن يكون له منزلة اجتماعية معينة. وفي هذا الصدد يذكر الباحث جون كيني، أن **الطفل المنحرف هو الطفل غير السعيد، أي الطفل المحروم عاطفياً، وسوء سلوكه ليس إلا علامة أو عرضاً على اضطراب داخلي أو خارجي، أو هما معا في الغالب.**<sup>1</sup>

ولذا فإن ما تتركه الأسرة في نفسية الفرد في مرحلة طفولته وسن حديثة يستقر في أعماق نفسه ويلزمه طوال حياته ويؤثر على سلوكه، ويكون للأسرة هذا التأثير القوي لأن اتصاله

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، مرجع سابق، ص 112.

بها في بداية حياته هو اتصال مطلق لا ينقطع ولا تتخلله علاقات أخرى من شأنها ان تحد من هذا التأثير أو تقطعه. لذلك فغن للأسرة دور كبير في التزام الفرد بالسير وفق القانون أو مخالفته ويتوقف ذلك على كون الأسرة سوية أو غير سوية. والأسرة السوية هي التي تجتمع لها مقومات معينة.<sup>1</sup>

وإن لكل فرد منحرف أو سوي **حاجات عاطفية أساسية** يعمل على إشباعها، هي عبارة بسيطة حاجته إلى الحب والحنان وحاجته إلى الأمن مع غيره من الناس، وحاجته إلى النمو والإنجاز والإعتراف به من الآخرين.

فللطفل دوافع بدائية وغرائز فطرية تدفعه لإشباع حاجاته وتحقيق رغباته التي قد تكون أحيانا ضارة به أو غير مناسبة له أو مخلة بأمن مجتمعه، لذا ينبغي تهذيب هذه الدوافع وتوجيهها على النحو الذي لا تلحق ضررا بصاحبها أو بآخرين أو بالمجتمع، وذلك **بانتهاج أسلوب تربوي سليم ينطوي على الإرشاد والتقويم بحزم مقرون بعطف** لتعليم الطفل كيف يعدل دوافعه الفطرية ويهذب سلوكه وفق القيم والمفاهيم الإجتماعية السليمة، وجعله يدرك المزيد من الحقائق التي كان يجهلها ويقدر فائدة ما يطلب منه الإلتزام به فيتحمل مذاق الدواء المر عند العلاج ويتقبل ألم الحرمان من بعض ما يشتهيهِ إذا كان ضارا به أو بالآخرين.

والمفروض أن يتولى **تربية الطفل على هذا النحو الصحيح والदान صالحان** ليجد أمامه **نموذجا قويا يقتدي ويسترشد به**، لأن حياته الوجدانية ترتبط بهما فمنهما يأخذ في اكتساب أساليب التصرف وأنماط السلوك وعلى الوالدين استغلال علاقة الحب التي تربط الطفل بهما في إرشاده وتهذيبه إذ يحرص الطفل على الإحتفاظ بتلك العلاقة، وهو في سبيل ذلك يكون أكثر إلتزاما بالتخلي عن تنفيذ رغباته الضارة. إذن فعلاقة الطفل بوالديه تلعب دورا رئيسيا في

---

<sup>1</sup> - محمد رضا بارة، مقرر مبادئ علم الإجرام، مرجع سابق، ص 219.

تنشئة الطفل وحمایته من عوامل الجنوح الكثيرة التي قد تحيط به من كل جانب في مجتمعه الخارجي.

وفي هذا الشأن يتساءل العالم دان بيرسوت قائلاً، كيف تحول العائلة الطفل من مخلوق لا ينشد إلا نفسه ولا يبحث إلا عن إشباع حاجياته إلى مواطن يلتزم بالقانون ويخضع لرباطه الشخصية لمصالح الجماعة الاجتماعية التي يعيش فيها؟ ثم يجيب بالقول: "إننا لا نعرف جواباً محدداً لهذا السؤال وإن كانت الدراسات الجادة حول الأطفال قد أتاحت لنا فكرة عن العملية، فالأطفال يحاولون أن يكونوا كالأشخاص الذين يحبونهم ويعجبون بهم، والأطفال لا يقلدون السلوك الخارجي لوالديهم فحسب، أو يتخذون من آبائهم مثلاً علياً فحسب، بل يتقصدون سماتهم ومستويات سلوكهم أيضاً.<sup>1</sup>

ومما تقدم يتضح لنا أهمية دور العائلة وأثرها في تكوين شخصية الفرد، فيكون سويًا إذا كانت العائلة سوية ويكون غير سوي إذا كانت العائلة غير سوية، حيث تعتبر العائلة سوية عندما تقوم بوظائفها على خير ما يرام وذلك بالنسبة للزوجين والأبناء، بحيث يؤدي كل فرد فيها دوره بالشكل المطلوب لخلق وحدة متماسكة ومتكاملة ذات أهداف مرسومة. فالعائلة القوية المتماسكة التي تقوم على الود والتفاهم بين الوالدين وبينها وبين الأبناء تخرج منها شخصية قوية لا تتساق وراء النزاعات الشريرة وتقاوم كل إغراء يدفع بها إلى سلوك سبيل الجريمة. أما العائلة غير السوية فهي التي يصيبها النقص في أداء وظائفها بالنسبة لأي من الزوجين أو الأبناء.

لقد قام عدد كبير من الباحثين في مجال الإجرام في مختلف الدول بدراسة العلاقة بين وضع الأسرة ومختلف ظروفها وانحراف أبنائها، وقد أكدت هذه البحوث والدراسات أن الصلة وثيقة بين الأمرين، حيث أظهرت هذه الدراسات أن انتشار نسبة ظاهرة الإجرام لدى أبناء الأسر

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، مرجع سابق، ص 114.

غير السوية تفوق نسبته لدى أبناء الأسر السوية. ومن هذه الدراسات الدراسة التي أجريت في ألمانيا على 144 من المجرمين الأحداث والتي أوضحت أن جميعهم ينتمون إلى أسر متصدعة.<sup>1</sup>

كما يمكن اعتبار العائلة سوية إذا توفرت لها مقومات معينة، أبرزها:<sup>2</sup>

الصلابة والتكامل واستقامة الوالدين والتزامهما بأصول التربية السليمة، واعتدال حجم العائلة واستواءها وضعها الاقتصادي، فإذا أصابها الخلل واحداً أو أكثر من هذه المقومات اهتزت العائلة وتخلخل كيائها وانعكس ذلك على شخصية أبنائها وعلى سلوكهم، ويات من المحتمل أن ينحرفوا وقد يبلغ انحرافهم إلى حد السقوط في حماة الجريمة .

كما أن طبيعة العلاقات الزوجية تعتبر من أهم المقومات الأساسية للبيئة العائلية، فعدم التوافق بين الزوجين يعتبر السبب الأساسي في التفكك العائلي، والتفكك هذا يعتبر من أبرز الظروف المولدة لجنوح الأبناء، والذين هم دوماً وحدهم الضحايا الأبرياء للعائلة المفككة. وقد اختلف الباحثون في تسميات مصطلح التفكك العائلي، فمنهم من أطلق عليه تعبير العائلة المتداعية التي تحدث بفقد أحد الوالدين أو كليهما بسبب الوفاة أو الطلاق . وأطلق عليه البعض الآخر التفكك الأسري، ويتم بفقدان أحد الوالدين أو كليهما أو الطلاق أو الهجر أو تعدد الزوجات أو غياب رب العائلة لمدة طويلة.

ولعل العالم الأمريكي سذرلاند، كان من أوائل الذين وصفوا التفكك العائلي الذي أطلق عليه اصطلاح البيوت المتصدعة أو Brocken home التي غالباً ما ترتبط بجنوح الأحداث بشكل بآخر، بأنها تلك البيوت التي يكون بعض أفرادها من ذوي الميول الإجرامية التي يغيب عنها أحد الوالدين أو كليهما بسبب الوفاة أو الهجر أو الطلاق، كذلك وصفها بأنها البيوت التي

1- محمد رمضان بارة، مرجع سابق، ص 223.

2- حسن أكرم نشأت، مرجع سابق، ص 115-.



ينعدم فيها الضبط الاجتماعي ويشيع فيها التمييز في المعاملة وعدم التوافق أو التعصب العنصري، والتي تعاني فقرا شديدا وعدم كفاية الدخل.

أما الدراسات الحديثة في هذا المجال فقد أشارت إلى التفكك العائلي باعتباره انحرافات تصيب البيئة العائلية، وحددت تلك الانحرافات بغياب الوالدين أو أحدهما عن العائلة، والمستوى السلوكي السيئ للعائلة، والخصام العائلي، والتربية العائلية الخاطئة. ومما تقدم وبالرغم من اختلاف الباحثين في الإتفاق على مصطلح واحد للتعبير عن البيئة العائلية غير السوية يتضح أن هناك اتفاق على معنى متشابه أو واحد في هذا الصدد. وسنحاول استخلاص وتحديد ومناقشة أهم الانحرافات التي يمكن أن تصيب البيئة العائلية وهي كالتالي:

### 1.1- إجرام بعض أفراد العائلة:<sup>1</sup>

من الثابت أن معرفة الطفل بما هو خطأ وماهو صواب وموقفه من الخطأ والصواب يتأثر إلى حد كبير بمعرفة وموقف والديه في هذا الخصوص، مما يؤكد أهمية أثر المستوى الخلقي للوالدين على شخصية وسلوك طفلهما. فإذا وجد الطفل في بيئة عائلية جانحة يشيع فيها السلوك الجانح أو الجريمة أو عدم احترام النظام والقانون، فهو في هذه الحالة لا يجد ما يعصمه من تقليد ما يحيط به من أنماط سلوكية جانحة، لا سيما وأنها تأتي من أشخاص على درجة كبيرة من الصلة والقربة، مثل الوالدين بوجه خاص. يتعلم الطفل الصغير السلوك الجانح بكل يسر وسهولة داخل جدران بيته، ولقد دلت نتائج معظم الدراسات في هذا المجال على مدى تأثير إجرام بعض أفراد العائلة على جنوح الأحداث، من تلك الدراسات دراسة أجراها الباحث برت في انكلترا عام 1944 التي بينت أن نسبة الإجرام في أسر المجرمين الأحداث تزيد على خمسة أمثال نسبته في أسر الأحداث غير

<sup>1</sup>- حسن أكرم نشأت، مرجع سابق، ص 117.

**المجرمين.** كذلك أوضحت دراسة الباحثين **إليانور و شيلدون** جلوك في الولايات المتحدة الأمريكية عام 1950 أن نسبة كبيرة من المجرمين الأحداث الذين شملتهم الدراسة قد تمت تربيتهم في عائلات كان بعض أفرادها مجرمين. كما لاحظنا في دراسة أجريها على 500 حدث جانح مع مقارنتهم بـ 500 آخرين من الأحداث غير الجانحين أن 90 بالمائة من الجانحين الأحداث تنتشر في أسرهم ظاهرة الإجرام والإدمان والسكر مقابل عائلات الأحداث غير الجانحين بنسبة 54 بالمائة. كما بينت الدراسة التي أجراها **العالم ستوري** في ألمانيا لعينة شملت 144 حدثا جانحا تبين أن 36 بالمائة منهم كان لهم أخ مجرم.

## **2.1- غياب الوالدين أو أحدهما عن العائلة:**

قد تتغير ظروف العائلة وتنقسم عراها نتيجة غياب الوالدين أو أحدهما عن العائلة بالوفاة أو الطلاق أو الهجر، مما قد يسبب جنوح الأطفال لفقدانهم الرعاية اللازمة في حالة غياب الوالدين أو لضعف الرعاية التي يحتاجونها عند غياب أحدهما مما قد يؤدي لانحرافهم وبالتالي جنحهم وإن كان ذلك لا يحدث عند قيام الوالد الآخر - الأب أو الأم- برعاية كاملة للحدث أو الحرص على حسن تنشئته. كذلك قد ينشأ الحدث حسن السلوك عند غياب والديه إذا حظي برعاية متكاملة من قريب له أو من شخص آخر تطوع للقيام بذلك. وفيما يلي نذكر أسباب غياب الوالدين أو أحدهما عن العائلة و أثره على جنوح الأحداث في الحالتين الآتيتين: <sup>1</sup>

**أ - وفاة الوالدين أو أحدهما:** وفاة الوالدين أو أحدهما يؤدي إلى صدمة عاطفية للأبناء وحرمانهم من مشاعر الحب والحنان فضلا عن حرمانهم الذي يلقنهم دروس الحياة والعائل الذي يهيئ لهم أسبابها. وقد أكدت معظم الدراسات التي أجريت في هذا الصدد أثر وفاة الوالدين أو أحدهما على انحراف الأبناء. ففي دراسة أجريت في مصر على 800 أسرة

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، مرجع سابق، ص 118.

جانحة و800 أسرة غير جانحة، تبين أن الجانحين الذين فقدوا الوالدين أو أحدهما بالوفاة يزيد عددهم أكثر من مرة ونصف على عدد غير الجانحين. ودراسة أخرى أجريت في العراق عام 1974 على 60 حدثاً جانحاً مع مجموعة ضابطة مماثلة من أحداث غير جانحين، بينت أن 36.67 بالمائة من آباء الجانحين و 20 بالمائة من أمهاتهم متوفون.

**ب - الطلاق:** بينت الدراسة التي أجريت في العراق أن نسبة الطلاق بين عوائل الجانحين تفوق نسبتها بين عوائل غير الجانحين. وفي دراسة أجريت في الأردن عام 1978 شملت 208 حدث جانح، ظهر أن 13 بالمائة منهم عاشوا في أسر غاب عنها الأب وتبين أن 26 بالمائة من حالات الغياب كانت بسبب الطلاق. وفي الولايات المتحدة الأمريكية أظهرت نتائج دراسة الباحثين جلوك أن نسبة الطلاق بين عوائل الجانحين بلغت 22.2 بالمائة بين عوائل غير الجانحين.

**ج- الهجر والانفصال:** أظهرت نتائج الدراسة التي أجريت في العراق أن نسبة آباء الجانحين الذين هجروا عوائلهم تفوق نسبة الآباء غير الجانحين (18.3 بالمائة / 5 بالمائة)، ونسبة أمهات الجانحين اللواتي هجرن عوائلهن تفوق نظيرتها من أمهات غير الجانحين (25 بالمائة/ 8.3 بالمائة). كذلك بينت دراسة جلوك أن 27.2 بالمائة من الجانحين عاشوا مع والدين يفترقان من وقت لآخر بينما لم يتعرض لمثل هذه الحالة سوى 9.2 بالمائة من غير الجانحين. كما أظهرت الدراسة التي أجريت في الأردن أن غياب الآباء عن أسر الجانحين بسبب هجرتهم للعمل قد بلغ 60 بالمائة من حالات الغياب.

### **3.1- عدم التوافق بين أفراد العائلة:**

إن أهم ما يساعد على تنشئة الطفل من الناحية العاطفية تنشئة سليمة هو حسن العلاقة بين الوالدين حتى يشب الطفل في أمن واستقرار، وينال نصيبه من عاطفة الأبوين، لذلك فإن عدم التوافق الذي ينشأ بين أفراد العائلة يخل بكيانها، وأخطر أشكال عدم التوافق في العائلة

يتمثل بالخصام بين الوالدين لأسباب مختلفة، كتباين المستوى الاجتماعي أو الإقتصادي أو الثقافي بينهما، أو لأسباب سيكولوجية ( كأن يكون كلاهما أو أحدهما حاد الطبع أو متقلب المزاج أو شديد الغيرة أو مدمنا على المخدرات أو المسكرات أو أن يكون أحدهما محافظا والآخر متحررا، أو يكون أحدهما انطوائيا والآخر انبساطيا أو يكون أحدهما بخيلا والآخر مسرفا أو لعدم توافقهما الجنسي أو للنزاع بينهما على السلطة في العائلة أو بسبب الفتن التي قد يثيرها الأقارب أو أصدقاء السوء. كما أن تعدد الزوجات يثير الخصام العائلي على نطاق واسع لميل الزوج لإحداهن وإيثاره أبنائها بالرعاية مع اشتداد الخصام بين أبنائهن أيضا).

والخصام العائلي عموما في أغلب حالاته يتمثل في مشاكسات ومشاحنات قد تتطور إلى مشاجرات يتخللها سب وقذف وتقترن أحيانا بإيذاء وإتلاف ويثير ذلك الفرع لدى أطفال العائلة لخشيتهم مما قد يؤدي إليه عدم التوافق والخصام من طلاق أو هجر أو جرائم، تحرمهم من رعاية وحنان الوالدين أو أحدهما وتعرضهم بالتالي للتشتت وربما للتشرد فضلا عن أن استمرار الخصام يجعلهم مهملين من الوالدين المنهكين في نزاعاتهما مما يعرضهم للانحراف وأخيرا للجنوح.

وقد أشارت معظم الدراسات التي أجريت في هذا المجال على أثر عدم التوافق بين الوالدين على جنوح الأبناء. فقد أكدت دراسة جلوك أن الخصام بين الوالدين كان موجودا في 31.2 بالمائة من عوائل الأحداث الجانحين مقابل 14.9 بالمائة من عوائل غير الجانحين. كما بينت نتائج نفس الدراسة أن مشاعر الجانحين نحو مقابل آبائهم وأمهاتهم عند الخصام أو بعده كانت تنصف بعدم الإهتمام والكرهية أكثر منها عند غير الجانحين (64 بالمائة مقابل 49 بالمائة).<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، نفس المرجع، ص 121.

#### 4.1- التربية العائلية الخاطئة

يتفق معظم علماء الاجتماع على أن التربية الخاطئة تعتبر الحجر الأساس في تكوين الشخصية المنحرفة. كما أنها من أهم العوامل صلة بالجريمة. ويشمل تعبير التربية الخاطئة لدى هؤلاء العلماء بأن لا تكون هناك تربية على الإطلاق، أو أن تكون التربية متسمة بالعنف والقسوة أو المتسمة باللين الشديد والتهاون أو أن تكون متراوحة بين القسوة واللين بحيث يجد الطفل أحيانا تسامحا وأحيانا أخرى غضبا وسخطا بالنسبة للأمر نفسه، الأمر الذي يؤدي به إلى الحيرة والعجز عن فهم ما يراد منه. وقد أكدت نتائج معظم الدراسات التي أجريت في هذا المجال العلاقة بين التربية الخاطئة والسلوك الإجرامي.

ففي دراسة أجراها سيرل برت في انكلترا على عدد من المجرمين تبين أن 61 بالمائة من المجرمين قد نشئوا في عوائل يشوبها اختلال النظام لفقدانه أصلا أو لكونه بالغ الصرامة. كما أكدت دراسة شيلدون و إيلانور جلويك على وجود صلة مباشرة بين التربية المنزلية الخاطئة والسلوك الإجرامي، فقد أظهرت نتائج الدراسة أن أسلوب الأمهات في التربية كان لينا في حوالي 57 بالمائة من عوائل الأحداث الجانحين مقابل 1107 بالمائة من عوائل غير الجانحين.

وفي دراسة للعالمين الأمريكيين هيلي و بروفير، أجريت على ألف حدث جانحين أن 46 بالمائة نشئوا في عوائل تتلاشى فيها الرقابة الأبوية مما يدل على الإهمال وعدم المبالاة، وهما من أساليب التربية الخاطئة. كما أظهرت نتائج دراسة أجريت في مصر على مجموعة مؤلفة من 50 حدثا جانحا، أن الجانحين هم أكثر شعورا بالنقص وأكثر استغراقا في أحلام اليقظة وأكثر حدة في سوء التكيف الإجتماعي وأكثر إتيانا للسلوك الجانح و الغير مقبول اجتماعيا كنتيجة أو كرد فعل لأساليب التربية الخاطئة التي تعرضوا لها.

## 5.1- الظروف الاقتصادية للعائلة

لا شك أن المقدرة الاقتصادية للعائلة تكون سببا في تحديد الكثير من العوامل المؤثرة والتي قد تكون سببا في إجرام الأحداث، وأول ما يتأثر بالظروف الاقتصادية للعائلة هو المسكن الذي تقيم فيه، ذلك أن رب العائلة عادة ما يختار السكن في الحي الذي يتماشى مع قدراته المادية وموارده. فهناك من الأحياء ما يحتاج لطبيعته الخاصة مستوى عاليا من الدخل وكلما انخفضت المقدرة المالية لرب العائلة كلما ابتعد عن السكن في تلك الأحياء واتجه إلى الأحياء التي تتناسب مع دخله المنخفض. وغالبا ما تكون تلك الأحياء بعيدة ونائية ومكتظة بالسكان وتفتقر إلى أبسط الخدمات ولا تقتصر المقدرة المادية على التحكم في اختيار الحي بل في مدى صلاحية السكن نفسه من ناحية ضيقه أو اتساعه وكونه صحيا من عدمه، وهذا له أكبر الأثر في استقرار الأبناء داخل المسكن أو الثورة عليه والهرب منه إلى الشارع. ولعلنا نلاحظ ذلك في انطلاق الأحداث في كثير من الأحياء إلى الشوارع في تجمعات لقضاء أوقات فراغهم، وغالبا ما تكون تلك التجمعات بؤرة صالحة لتكوين رثومة الإجرام، وقد يزيد من خطورة مسألة السكن هذه ازدحام المنزل بكثير من الأبناء لا سيما إذا كان الأبناء م إخوة غير أشقاء أو من أقرباء العائلة حيث إن ضيق المسكن واكتظاظه بالأفراد وما يتبعه من كثرة احتكاكهم ببعض يؤدي إلى حدوث ظواهر إجرامية اجتماعية خطيرة كمواقعة المحارم وانتشار حالات الشذوذ الجنسي بين الأطفال والمراهقين.

وبالإضافة إلى تأثير الظروف الاقتصادية للعائلة على السكن فإن الضيق الاقتصادي للعائلة قد يكون عاملا مباشرا من عوامل جنوح الأحداث وذلك عندما يعجز رب العائلة عن توفير مستلزمات الحياة الضرورية للأبناء، الأمر الذي يؤدي إلى شعورهم بالحرمان الذي تزداد وطأته برؤية ما هم محرومون منه لدى أقرانهم، لا سيما مع ما يؤدي إليه التطور الصناعي والتكنولوجي من انتشار الكثير من السلع الاستهلاكية التي تزيد من تطلعات هؤلاء

المحرومين إلى مختلف أنواع المتعة وبالتالي فإن هذا الحرمان قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى محاولة تعويضه بتصرفات منحرفة أبرزها السرقة.

وفي هذا الصدد أظهرت نتائج البحث الخاص بجرائم السرقة في مصر أن الحالة الاقتصادية لأسر الأحداث المتهمين بالسرقة في مستوى منخفض جدا، كما أظهرت الدراسة أن أعلى نسبة من أسر الأحداث المتهمين تعيش في منازل مكونة من غرفة واحدة، حيث بلغت هذه النسبة 46 بالمائة وتقل هذه النسبة كلما زاد عدد الغرف في المسكن. كما أظهرت نتائج دراسة الوضع الاقتصادي للمجرمين وأسرهـم التي أجراها الباحث سيرل برت في لندن بان الموقوفين والمدانين والمحكومين بالحبس أو السجن يتركزون في أشد طبقات المجتمع فقرا، وأن 56 بالمائة من الأحداث الجانحين ينتمون إلى الطبقات الفقيرة.

## **2- البيئة المدرسية**

إذا كانت الأسرة هي البيئة الداخلية الأولى التي يتلمس فيها الطفل ويشق طريقه في الحياة حيث يكتسب مقومات شخصيته داخل وسطه العائلي، فإن المدرسة هي البيئة الخارجية الأولى التي تقوم بصقل شخصيته وتهذيبها لتندرج في الرقي نحو السمو. سيما وأن المدرسة ليست فضاءً تعليميا فحسب بل مجالا تواصليا للتلاميذ الذين نشئوا في بيئات متباينة ومختلفة، منهم من يعيش الهدوء والإستقرار العاطفي وفيهم من يعوزه فقدان أحد أفراد عائلته أو لسوء معاملته في بيئته الداخلية الأولى، إضافة إلى التفاوت في المستويات الإجتماعية والإقتصادية والميولات والإتجاهات والقدرات النفسية والعقلية. فالمدرسة ليست وجهة للتلقين والتعليم فقط بل أيضا مؤسسة أساسية في التوجيه والتقويم وتهذيب سلوكيات التلاميذ.<sup>1</sup>

فعملية التعليم والتعلم تجري في أكثر من نطاق ومجال وفي داخل أكثر من مؤسسة اجتماعية واحدة، ولكن المدرسة وحدها تتحمل العبء الأكبر والتعليم باعتبارها حلقة الوصل

---

<sup>1</sup>البيئة وأثرها في الظاهرة الإجرامية -الفقرة الثانية الوسط التعليمي- ملخص علم الإجرامUniversityLifeStyle

بين الأسرة وبقية أجزاء المجتمع الكبير. وتظهر أهمية البيئة المدرسية باعتبارها البيئة الخارجية الأولى التي ينتقل إليها الطفل من بيئته العائلية التي ولد فيها، حيث يواجه الطفل فيها فرصاً ضخمة للتقليد والاندماج والإيحاء وغيرها من وسائل اكتساب القيم والمبادئ. والمدرسة بالنسبة للطفل أول مجتمع متشابك مترامي الأطراف يجد نفسه فيه، حيث يلتقي بعدد كبير من الأطفال الذين يقاربونه في السن ويشاركونه نزاعاته وأهواءه، ويختلف كل منهم عن الآخر في طبائعه وميوله واتجاهاته التي اكتسبها من بيئته العائلية، وبذلك فإن الطفل يواجه أول مجتمع حقيقي يحتاج إلى قدرات لإمكان التكيف فيه تختلف عن تلك التي اعتادها في عائلته.

كذلك يلتقي الطفل بعدد من المدرسين لكل منهم سلوك وصفات خاصة يمثلون بالنسبة له السلطة التي يجب طاعتها والمثل الذي يفترض التمثل به وذلك إلى جانب إدارة مدرسية تمسك بزمام السلطة في هذا المجتمع الصغير المتعدد الأطراف. والمدرسة تتولى مهمة التعليم في جميع مراحل ومستوياته بدءاً من رياض الأطفال وانتهاء بالدراسات العليا الجامعية فتقدم المعرفة في كل هذه المراحل مع مقتضياتها.

وإذا كان التعليم بمعناه الدقيق لا يتعدى تقديم عناصر المعرفة المقررة في مناهج الدراسة، إلا أنه بمعناه الواسع يشمل إحاطة هذه المعرفة بإطار متكامل من القيم والمثل والمعتقدات السليمة التي تحقق أهداف الجماعة في تأهيل الفرد لخدمة المجتمع وتعزيزه، وبذلك يسهم التعليم في التنشئة الاجتماعية للأفراد.

وتبرز أهمية المدرسة ودورها الفاعل في تنشئة الأطفال تنشئة تربوية سليمة بالخصوص عندما تتمتع المدرسة بمقومات صالحة تتمثل بشكل أساسي في المدرسين المختصين والمؤهلين تربوياً وعلمياً والإدارة الكفأة التي تشرف على العملية التربوية بالإضافة إلى المباني الصحية وتوفير الوسائل المناسبة للعملية التعليمية والتربوية، وبالتالي فإن توفر هذه المقومات السليمة في بيئة المدرسة ستساهم وإلى حد كبير في تعزيز كيان المجتمع



وسلامته بما في ذلك تقليص الانحرافات السلوكية وحالات الجنوح والعكس صحيح. فإذا أصاب الخلل بعض تلك المقومات أو كلها فإن البيئة المدرسية ستكون بيئة مناسبة لنمو الانحرافات السلوكية وارتفاع نسبة الجنوح.

ولعل أهم الإختلالات التي يمكن أن تصيب البيئة المدرسية تتمثل في سوء اختيار المدرسين الذين يمثلون القدوة بالنسبة للأطفال وسوء اختيار القائمين على إدارة المدرسة.

وإذا كانت المدرسة يطلب إليها أن تؤدي بعض هذه الأدوار الجوهرية في حياة الأطفال والمراهقين، فهي بذلك لا تكون بعيدة عن الصورة التي يرسمها لها علماء الجريمة في مجال التفسير التكاملي للجريمة والجنوح الذين يربطون بين الجنوح والجريمة من جهة وبين التعليم الناقص وفشل المدرسة في أداء مهمتها من جهة أخرى . حيث أن هناك اتجاهاً لدى غالبية الباحثين للتأكيد على أن معدلات الجريمة تزداد مع نقصان مستوى التعليم الرسمي للأفراد والعكس صحيح، وذلك من خلال دراساتهم التي أجروها على نزلاء السجون والمؤسسات الإصلاحية في أكثر دول العالم. ففي أمريكا وجد أحد الباحثين أن نسبة الأمية بين سجناء أمريكا كانت 17 بالمائة عام 1931، تراوحت بين 10 و30 بالمائة عام 1953. وفي الدراسة التي أجريت في العراق تبين أن 45 بالمائة من الجانحين كانوا أميين 40 بالمائة في المرحلة الابتدائية و15 بالمائة في المرحلة المتوسطة. كما أكدت نتائج بحث السرقة عند الأحداث في مصر العلاقة بين التعليم والجريمة، حيث تبين أن 60 بالمائة منهم أميين. وفي نفس الإتجاه ذهب الأديب المفكر الفرنسي "فكتور هيجو" الذي قال "أن فتح مدرسة هو بمثابة إغلاق سجن".

## - أهم الاختلالات التي يمكن أن تصيب البيئة المدرسية

### 1.2- سوء اختيار المدرسين:<sup>1</sup>

إن أول ما يصادف الطفل في المدرسة هو المدرس الذي يرتبط دوره بتشكيل شخصية الطفل. فالعلاقة الصحيحة بين المعلم والصغير القائمة على التفاهم والعناية دون ضعف والحسم دون قسوة مبالغ فيها تساعد الطفل على التغلب على مشاكله والمضي في حياته الجديدة نحو تكوين شخصية تحترم السلطة والنظام تبتعد عن الإنحراف والجريمة.<sup>2</sup>

وتعتمد عملية التنشئة الإجتماعية داخل المدرسة إلى حد كبير على شخصية المدرس الذي يمثل بالنسبة للطفل السلطة التي يجب عليه طاعتها ، وفي الوقت نفسه المثل الأعلى الذي يقلده وبالتالي فإن المظهر الذي تبدو عليه هذه السلطة والحكمة التي تبديها كفيلة بأن تكوّن نظرة الطفل إلى السلطة العامة في مستقبل حياته. فإذا كانت شخصية المدرس قويمه سليمة انعكست سماتها الخيرة على التلاميذ فتمثلوا بها في سلوكهم مما يساعد على إيجاد جيل ناشئ صالح أما إذا كانت شخصية المدرس مشوية بعلل أخلاقية وانحرافات سلوكية فذلك شر يعود ضرره على تلاميذه وخاصة أولئك الذين لم يكتسبوا في بيئاتهم العائلية نوازع خلقية سليمة وتغلب عليهم نزعة المحاكاة التي تدفعهم لتقليد المدرس في سلوكه المنحرف باعتباره القدوة وبوصفهم الأدنى وهو الأعلى طبقاً لنظرية التقليد فيكون سلوكهم المنحرف هو المنزلق نحو الجنوح.

وبالتالي فإن على المدرسة لكي تقوم بدورها بشكل سليم أن تقدم مناهج غنية واسعة مشوقة، وعليها أن تكون ذلك البيت الهادئ المريح الذي تتفتح بين جدرانه طاقات الفرد وكفاءاته وعليها أن تهيب مدرسين أكفاء متخصصين في شؤون تربية الأطفال وقادرين

<sup>1</sup>- حسن أكرم نشأت، نفس المرجع، ص 130.

<sup>2</sup>- محمد سيد فهمي، الخدمة الإجتماعية في مجال الجريمة والعقاب، دار الكتب والوثائق القومية، بدون طبعة، 2011، ص110.

على التعامل معهم بروح أبوية تنفذ إلى أعماقهم ليقوموا بغرس قيم الفضيلة والخير في نفوس الأطفال إلى جانب تلقينهم مفردات المعرفة بأسلوب سائغ مقبول وبحزم مقترن بعطف بما يحقق الألفة التي تجعل دروسه محبوبة لتلاميذه فيقبلونها بشوق ويستوعبونها بسرعة وإتقان وتصبح المدرسة موضع حبهام أيضا مما يسمح لهم بالمواظبة والإقبال عليها.

وكذلك لابد أن يكون للمدرسة دور مهم في تهيئة مجالات النشاط الإجتماعي والرياضي لترويح التلاميذ وتصعيد طاقاتهم الغريزية للحيلولة دون احتباسها في مكانم اللاشعور مما ينجم عنه علل نفسية تؤدي إلى انحرافات سلوكية قد تسبب الجنوح، كما يجب العناية بصحة التلاميذ باتخاذ ما يلزم من التدابير الوقائية والعلاجية، وتشمل ضرورة توفر الشروط الصحية في مباني المدارس بمراقفها المختلفة وفحص التلاميذ عند التحافهم بالمدارس للتأكد من سلامة حالاتهم الصحية ومواصلة فحصهم بصورة دورية وتوفير العلاج للمرضى منهم لضمان نشوئهم بصحة كاملة.

## 2.2 - سوء اختيار القائمين على إدارة المدرسة<sup>1</sup>

تمثل إدارة المدرسة أعلى سلطة داخل البيئة المدرسية والمسئولة عن كل ما يدور داخلها من عملية تربوية وتعليمية بما في ذلك الإشراف على سلوك المدرسين وأدائهم لمهامهم التعليمية والتربوية بكفاءة واستبعاد من لا يصلح لهذه المهنة، وكذلك مراقبة سلوك التلاميذ والتثبت من انتظام دوامهم والتزامهم بالنظام وتشخيص المنحرفين منهم والسعي لإصلاحهم وإقصاء من يتعذر إصلاحه للحيلولة دون عدوى التلاميذ الأسوياء. وعادة ما يتم ذلك من خلال توفير جهاز يتولى تقديم الخدمات الإجتماعية والنفسية للتلاميذ يتكون من أخصائيين اجتماعيين يقومون بتنظيم الحياة الإجتماعية داخل المدرسة لتصبح محببة للتلاميذ

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، نفس المرجع، ص 130 - 131.

وصالحة لنمو قدراتهم العقلية والنفسية وتوجيههم للاندماج في النشاطات المناسبة لهم ومساعدتهم على حل مشاكلهم المختلفة.

وبالنظر لأهمية وخطورة الدور الذي تقوم به الإدارة فلا بد أن يكون القائمون على الإدارة يتمتعون بصفات خاصة كالمستوى العلمي الرفيع والخبرة الطويلة في المجال التربوي بالإضافة إلى تمتعهم بالسيرة الحسنة والأخلاق الفاضلة وبعبارة أخرى فإن التهاون في اختيار القائمين على إدارة المدرسة سيؤدي بالتأكيد إلى انتشار الفوضى داخل المدرسة وما ينجم عن ذلك من تفرخ حالات الجنوح والانحراف لدى التلاميذ هذا بالإضافة إلى أن سوء الإدارة والقائمين عليها يمكن أن يؤدي إلى فتح نافذة أخرى يتسلل منها الجنوح من خلال ظاهرة الهروب من المدرسة التي تمثل الأرضية أو الخلقية التي تقف وراء غالبية حالات الجنوح. وتقول إحدى الدراسات الخاصة بهذه الظاهرة أن هروب الطفل المتواصل من المدرسة كان من الحالات الشائعة بين أكثر من 60 بالمائة من الأطفال الجانحين الذين قدموا إلى محاكم الأحداث في الولايات المتحدة الأمريكية. وفي دراسة أخرى تناولت حوالي 2000 مجرم، ظهر أن 40 بالمائة منهم سبق وأن أرسلوا إلى إصلاحيات الأحداث الجانحين بسبب هروبهم المتواصل من مدارسهم. ويقول العالمان شلدون و إيلانور جلوك أنهما وجدان 62 بالمائة من الأطفال الجانحين الذين تناولوهم في دراستهما يكرهون المدرسة كراهية شديدة.

وكخلاصة لعلاقة البيئة الدراسية بالسلوك المنحرف إذن هو توفير مقومات المحيط الدراسي والذي لا بد أن تتجاوزه ثلاثة أقطاب أساسية: التلميذ والمدرس والقائمين بتسيير الإدارة في تناغم مع العائلة ومد جسور التواصل بهدف الحيلولة دون تراكم سلوكيات منحرفة والقضاء عليها في مهدها. غير أن هذه الأهداف قد تتبخر إذا ما كانت المدرسة نفسها تعاني علا واختلالات مما يؤدي إلى تأزم وضع التلاميذ ويضحون فريسة سهلة للسلوكات المنحرفة.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - البيئة وأثرها في الظاهرة الإجرامية -الفقرة الثانية الوسط التعليمي- ملخص علم الإجرامUniversityLifeStyle

### 3- بيئة العمل<sup>1</sup>

بيئة العمل هي البيئة الخارجية التالية للبيئة المدرسية ينتقل إليها الفرد بعد إنهائه مرحلة دراسية أولية أو عالية تبعا لما مكنته ظروفه من اجتيازها في حين يضطر من لم تمكنه ظروفه من اجتياز أي مرحلة دراسية إلى الانتقال لبيئة العمل مباشرة ويحدث ذلك خاصة في بعض مجتمعات دول العالم الثالث لا سيما الشديدة الفقر حيث تضطر العائلة في مثل تلك المجتمعات ونتيجة لظروفها الإقتصادية المتردية وحاجتها إلى دخل إضافي إلى عدم إلحاق أطفالهم بالمدارس وإرسالهم مباشرة إلى سوق العمل وفي بيئة العمل يلتقي الحدث بأفراد عديدين لهم نماذج سلوكية متنوعة لأن مجتمع العمل يختلف كثيرا في ظروفه عن مجتمع المدرسة فالأخير يحوي أفرادا متقاربي السن والسلوك، أما في العمل فيلتقي بالصغير والكبير والنموذج الحسن السيئ وإذا كانت المدرسة تهتم بالناحية التربوية فإن رب العمل لا يهتم إلا بالناحية المادية ولا يعنى بالسلوك إلا ما له تأثير على سير العمل.

ولبيئة العمل ثلاث مقومات أساسية هي: العمل والعاملين والأنظمة والتشريعات المنظمة لهما، فالعمل هو محور الحياة الإنسانية به استطاع الإنسان السيطرة على موارده الطبيعية وتسخيرها لسد حاجاته المتنامية والعمل من حيث ماهيته هو جهد إنساني فكري أو إداري أو تقني أو جسماني.

والعاملون ينقسمون من حيث الجهة التي يؤدون العمل لمصلحتها إلى فئتين: الفئة الأولى هم العاملون في القطاع العام أي في المؤسسات الحكومية كموظفين والفئة الثانية هم العاملون في القطاع الخاص أي في المؤسسات الخاصة وكذلك يمارسون لحسابهم مختلف المهن والحرف.

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، مرجع سابق، ص 132 - 133.

أما التشريعات المنظمة للعمل والعاملين فتتقسم إلى قسمين: المجموعة الأولى مكرسة لتنظيم العمل والمجموعة الثانية من تلك التشريعات مخصصة لتنظيم شؤون العاملين وتظم قوانين وأنظمة الخدمة والتقاعد للعاملين في مؤسسات الدولة وقانون العمل والضمان الإجتماعي للعاملين في المؤسسات الخاصة.

وعلى الرغم من احتواء بيئة العمل كل تلك التشريعات والقوانين المنظمة لسير العمل وحفظ حقوق العاملين وأصحاب العمل، إلا أن هذه البيئة غالباً ما يشوبها بعض الإختلالات التي ينشأ عنها السلوك المنحرف في بيئة العمل.

وعادة ما تنشأ اختلالات بيئة العمل لأربعة عوامل هي: الإختيار الخاطئ للمهنة أو العمل من قبل الفرد، ونوع العمل أو المهنة ذاتها والسلوك المنحرف لبعض الزملاء والرؤساء في العمل وأخيراً عدم الإلتزام بتطبيق التشريعات الخاصة بالعمل أو الإخلال بها. وسنقوم فيما يلي باستعراض هذه العوامل المسببة لانحراف بيئة العمل:

### 1.3- الإختيار الخاطئ للمهنة أو العمل من قبل الفرد:

يرتبط نوع المهنة أو طبيعة العمل الذي يمارسه الفرد بالعديد من نواحي الحياة الإنسانية والثقافية والإقتصادية وغيرها. فالمهنة قد تكون أحياناً عاملاً وسيطاً للانحراف لما يحيطها من وسائل أو تنمية من قدرات خاصة يمكن أن تستخدم فيما بعد لتحقيق أهداف غير مشروعة.<sup>1</sup>

يعتبر الإختيار الخاطئ للمهنة أو دخول الفرد فيها بدون رغبة وتحت تأثير ضغط خارجي كإكراهه من قبل والديه أو أحدهما ذا أثر كبير في عدم توافقه وهذه المهنة، الأمر الذي

<sup>1</sup> - محمد سيد فهمي، الخدمة الإجتماعية في مجال الجريمة والعقاب، مرجع سابق، ص 110.

يؤدي إلى تعذر التحرر منها ويكون ذلك مدعاة لاضطرابات نفسية وغيرها، مما يصبح فيما بعد عاملا من عوامل السلوك الإجرامي.<sup>1</sup>

بالإضافة إلى ذلك فإن اختلاف الإجرام من مهنة إلى أخرى يمكن أن يفسر أيضا بما هو ملاحظ من أن المهنة الواحدة تجتذب عادة أشخاص متقاربين في تكوينهم الطبيعي وفي ميولهم النفسية بل وفي مراحل العمر أيضا. إذ أن بعض المهن يطلب فيها مثلا من هم في مرحلة النضج العام. فالإحصاءات الجنائية تشير إلى أن الأشخاص الذين يشتغلون بمهام علمية أو فنية أو أدبية هم أقل فئات المجتمع تعرضا للجريمة بوجه عام. بينما أصحاب الحرف والصناعات هم أكثر فئات المجتمع ارتكابا للجريمة.<sup>2</sup>

### 2.3- نوع العمل أو المهنة ذاتها:

يرتبط نوع المهنة أو طبيعة العمل الذي يمارسه الفرد بالعديد من نواحي الحياة الإنسانية والثقافية والاجتماعية والثابت علميا ان النشاط المهني للفرد والبيئة التي يزاول فيها عمله لهما تأثير بالغ على ظاهرة الإجرام بل قد يكون نوع المهنة أو العمل مصدرا مباشرا للإجرام، حينما يخلق ظروفًا جديدة لارتكاب الأفعال الإجرامية و تختلف هذه الأفعال باختلاف نوع العمل والدور الذي يجب على الشخص القيام به. فقد تؤدي بعض العمال إلى التأثير على أعصاب ونفسيات من يقومون به كالعامل الرتيب أو الضوضاء أو الإيقاع السريع. كما قد توجد بالنسبة لبعض الأعمال نظم وقواعد خاصة تتعارض مع نظم وقواعد المجتمع كتلك المتعلقة بالسرقة البسيطة التي يقوم بها عمال التجارة أو الإجهاض في الوسط الطبي أو العادات الاجتماعية كالمعاشرة بدون زواج في الوسط الفني. ولقد انتشرت في السنوات الأخيرة ظاهرة إجرام رجال الأعمال أو ما يطلق عليها العالم سنذرلاند جرائم الغش التجاري<sup>3</sup>

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، مرجع سابق، ص 134.

<sup>2</sup> - محمد سيد فهمي، الخدمة الاجتماعية في مجال الجريمة والعقاب، مرجع سابق، ص 110

<sup>3</sup> - حسن أكرم نشأت، مرجع سابق، ص 134.

والإحتيال. كما تنتشر عند بعض الموظفين جرائم الرشوة والإختلاس والإستيلاء على المال العام.

### 3.3- السلوك المنحرف لبعض الرؤساء والزملاء في العمل

من أخطر انحرافات بيئة العمل هو انحراف سلوك المشرف على العمل مما يؤدي إلى انحراف سلوك بعض العاملين تحت إشرافه ممن يفتقرون لحصانة أخلاقية وينظرون إلى المشرف كقدوة فينساقون معه في القيام بأفعال إجرامية ضارة بالعمل كالسرقة والإختلاس والرشوة.

كما أن وجود أفراد من الزملاء ذوي السيرة إلى بعض العاملين معه ممن تعوزهم حصانة ضد تلك المثالب فتتلون بيئة العمل بانحرافاتهم السلوكية وما قد ينجم عنها من أفعال مخلة بالعمل تعد جرائم.<sup>1</sup>

كما أن الإنسان إذا مارس العمل قد لا يتكيف في الوسط الذي يعمل فيه نظرا لقسوة رب العمل أو عدم تشجيعه له أو تشغيله له أكثر مما يستطيع أو لسوء علاقته بزملائه كل ذلك قد يؤثر على نفسيته وبصيبه بالقلق والإضطراب الذي قد يدفعه إلى ارتكاب السلوك الإجرامي.<sup>2</sup>

### 4.3- عدم الإلتزام بتطبيق التشريعات الخاصة بالعمل:

إن عدم الإلتزام بتطبيق تشريعات وقوانين العمل من قبل رب العمل وخاصة في القطاع الخاص غالبا ما يؤدي إلى أنواع مختلفة من السلوك المنحرف لدى العاملين، بالإضافة إلى كون هذه المخالفات تعتبر جرائم بحد ذاتها. فعلى سبيل المثال فإن تشريعات العمل في معظم دول العالم تمنع عمل الأطفال إلا أن معظم المؤسسات الخاصة خاصة الصغيرة منها

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، مرجع سابق، ص 135.

<sup>2</sup> - محمد رمضان بارة، مقرر مبادئ علم الإجرام لطلبة الجامعة المفتوحة، مرجع سابق، ص 227.



تقوم بمخالفة هذه التشريعات حيث تقوم بتشغيل الأطفال واستغلالهم أبشع استغلال وذلك بتكليفهم بالقيام بأعمال شاقة ولساعات طويلة لا تتناسب مع أعمارهم وقدراتهم وبأجور منخفضة جدا، الأمر الذي يولد لدى هؤلاء الأطفال سلوكا عدوانيا تجاه رب العمل والمجتمع بشكل عام، وقد يؤدي ذلك في كثير من الحالات إلى أنواع مختلفة من السلوك الجانح.

كما تتمثل هذه المخالفات للتشريعات، في عدم ضمان حقوق العاملين وعدم الإلتزام بتطبيق قانون العمل حيث يقوم بعض أرباب العمل بعدم تسجيل العاملين لديهم لدى مؤسسات الضمان الاجتماعي، مما يؤدي إلى حرمانهم من حقوقهم في الحصول على الإجازات والتأمين الصحي والحصول على التقاعد مما يجعل هؤلاء العمال غير راضين عن عملهم وحاقدين على رب العمل، فيندفعون إلى الإخلال بالعمل بأفعال تعد جرائم في بعض الأحوال وذلك تعبيرا عن انتقامهم من رب العمل.<sup>1</sup>

#### **4- البيئة الترويحية**

هي المكان الذي يقضي فيه الفرد أوقات فراغه باتخاذ وسيلة ترويحية للحصول على ما يحتاجه من الراحة والترفيه والتسلية ويشمل ثلاث عناصر أساسية: العنصر الأول يتمثل في المكان، وغالبا ما يكون هذا المكان داخل الحي نفسه الذي يسكن فيه الفرد، والعنصر الثاني هو وقت الفراغ لدى الفرد، أما العنصر الثالث فهو نوع الوسيلة الترويحية التي يستخدمها الفرد للحصول على الراحة والترفيه والتسلية.

وسنحاول مناقشة هذه العناصر الثلاثة والتعرف على مدى سلامتها أو انحرافها لما لهذه العناصر من تأثير قد يكون إيجابيا أو سلبيا على البيئة الترويحية للفرد.

---

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، مرجع سابق، ص 135.

#### 1.4 - المكان:

يقصد بمكان البيئة الترويحية، **الحي** الذي يقصده الفرد للحصول على ما يتمناه من ترفيه وراحة وتسلية، وعادة ما يكون هذا المكان في نفس **الحي** الذي يعيش فيه الفرد أو الأحياء القريبة منه. فإذا كان **الحي** فاسدا فإن ذلك سينعكس على الوسائل الترويحية فيه. **فالحي الفاسد** بالإضافة إلى كونه يوفر للسارق الفرصة للتخلص من مسروقاته لقاء ربح مضمون دون رقابة، فإنه يسهل للفرد الإنغماس في وسائل اللهو الرخيصة التجارية كمحلات المقامرة والبغاء وتعاطي المخدرات والمكسرات المتوفرة في تلك الأحياء. وهذا يجعل ارتكاب الجريمة في مثل هذه الأحياء أمرا سهلا وشائعا. فالرذائل الإجتماعية التي تشيع بحرية في تلك الأحياء واتخاذها مكان إقامة مستقرة لهم وحصنا يحتمون به لمزاولة نشاطاتهم الإجرامية غير المشروعة، وحين يعيش الفرد بين الرذائل والموبقات لا يجد ما يعصمه عن ممارستها، بل يجد ما يخدش كرامته من جراء ممارسته لها لكونها عادات شائعة مألوفة يقوم الناس بها دون خوف أو حياء، ولذلك تصبح جزءًا من الثقافة التي تميز **الحي** ذاته.

وفي هذا الصدد يقول سذرلاند<sup>1</sup> أن الأطفال بطبيعتهم يدفعهم الفضول إلى التماس وسائل ترفيهية جديدة في كل الأوقات، وهم لذلك يندفعون بتجربة كل ما يحيط بهم من وسائل اللهو التجارية الرخيصة وفي داخل **الحي** الذي يقيمون فيه، وهنا لا يهتم صاحب التجارة بمصلحة الحدث الصغير ومستقبل سلوكه بقدر ما يهمله من ربح عاجل يجنيه من وراء عمله، ولهذا فقد ينغمس أطفال هذه الأحياء في أنماط سلوكية ضارة، الأمر الذي يقودهم إلى الجنوح والجريمة.

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، نفس المرجع، ص 138.

ومن جهة أخرى فإن مثل تلك الأحياء الفاسدة التي تنتشر فيها محلات الفساد، نادرا ما تحوي في المقابل محلات ترويجية نافعة مثل الأندية الرياضية والمكتبات العامة والمعارض الثقافية والفنية التي يمكن أن تعود بالفائدة على مرتاديه من الأطفال والشباب.

#### 2.4 - أوقات الفراغ:

يطلق مصطلح وقت الفراغ على الزمن الذي يتبقى لدى الفرد بعد انتهائه من القيام بواجباته من عمل أو دراسة أو مسؤوليات اجتماعية. وتختلف مدة هذا الزمن باختلاف نوع العمل أو الدراسة أو المسؤوليات الاجتماعية. فكلما زادت الساعات والأيام التي يقضيها الفرد في هذه المجالات والدقة في إنجازها كلما أدى إلى تقليص أوقات الفراغ لدى الفرد والعكس صحيح. وسواءً طالَّت أوقات الفراغ أم قصرت فإنه إذا لم يتم ملؤها بأنشطة ملائمة، فإنها ستؤدي إلى معاناة الفرد من الضيق والتوتر والملل الذي ربما يؤدي في بعض الحالات إلى إصابته بالكآبة والأمراض النفسية.

لذلك فإن أغلب الدول والمجتمعات لا سيما المتقدمة منها تحرص على توفير أنسب وسائل قضاء وقت الفراغ للشباب حتى لا يقع فريسة الملل والضيق، ويتحول بذلك من طاقة بشرية منتجة إلى مجرد أعداد بشرية متقاعسة مستهلكة وعالة على غيرها أو يصبح أداؤها وكفايته الإنتاجية العملية والعلمية على درجة كبيرة من التدنّي. كما يأتي هذا الحرص من تلك المجتمعات والدول المتقدمة على توفير الوسائل المناسبة لقضاء أوقات الفراغ لشبابها، من إيمانها المطلق بأن الشباب رأس مال كبير وإن حسن توجيهه في كل المجالات يعتبر استثمارا جيدا لهذه الطاقة وأن الإهمال في ذلك يعتبر إهدارا لهذه الطاقة وسببا من أسباب الانحراف الذي يشيع بين الشباب.<sup>1</sup>

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، نفس المرجع، ص 139.

### 3.4 - الوسائل الترويحية:

تتقسم الوسائل الترويحية من حيث تأثيرها على الفرد إلى ثلاثة أقسام: الوسائل الترويحية النافعة، والوسائل الترويحية الضارة، والوسائل الترويحية التي يمكن أن تكون نافعة وضارة في نفس الوقت وذلك حسب طريقة استخدامها من قبل الفرد ومدى وعيه وثقافته.

#### 1.3.4 - الوسائل الترويحية النافعة:

تتمثل في النشاطات الثقافية التي يمارسها الإنسان من مطالعة ومشاركة في اللقاءات الثقافية والإجتماعية وممارسة الهوايات الفنية، مثل: العزف والموسيقى والرسم وغيرها، بالإضافة إلى ممارسة الألعاب والتمارين والأنشطة الرياضية، والمشاركة في الدورات التعليمية والتدريبية العلمية والفنية. ومما لا شك فيه أن هذه الوسائل تحقق ثمارا طيبة للفرد والمجتمع، لذلك يجب على الهيئات الحكومية والشعبية ومنظمات المجتمع المدني التعاون في توفير الإمكانيات اللازمة لاتخاذ هذه الوسائل بإنشاء المزيد من المكتبات العامة والنوادي الإجتماعية والرياضية والمنتزهات والمعارض والمعاهد الثقافية وتشجيع الأفراد على ارتيادها لإبعادهم عن الوسائل الترويحية الضارة بهم وبالمجتمع التي تؤدي إلى انتشار السلوك المنحرف والجريمة.<sup>1</sup>

#### 2.3.4 - الوسائل الترويحية الضارة:

يتحقق الإنحراف السلوكي عند قضاء الفرد أوقات فراغه باتخاذ وسائل ترويحية خاصة وأن بعض تلك الوسائل تعتبر بحد ذاتها سلوكا منحرفا وإجراميا أحيانا. وأخطر هذه الوسائل تعاطي المخدرات والمسكرات والمقامرة وممارسة البغاء. ولعل تعاطي المخدرات تمثل أخطر تلك الوسائل الترويحية الضارة والتي تعاني منها مختلف المجتمعات على نحو متباين بما فيها تلك المجتمعات المحافظة. وتنتشر هذه الآفة في جميع الأوساط الإجتماعية بدءًا بالثرية

<sup>1</sup> - حسن أكرم نشأت، نفس المرجع، ص 140.

وانتهاء بالفقيرة. وأغلب متعاطي المخدرات في هذه الأوساط يفتقرون إلى الثقافة والوعي والقيم الأخلاقية القويمة. وتتأتى خطورة هذه الآفة من الأضرار التي تلحقها بالفرد الذي يتعاطاها أولاً وبالمجتمع واستقراره ثانياً. لذلك فإن جميع التشريعات السماوية منها والوضعية قد خصصت نصوصاً لمعاقبة ليس المتاجرين بها والمهريين لها فحسب بل وحتى متعاطيها أيضاً. وهذه الأضرار تتدرج في شدتها تبعاً لتطور مرحلة التعاطي والتي تبرز في مرحلة الإعتياد ثم تشتد في مرحلة الإدمان بحيث يصاب المدمن بانحلال جسمي وعقلي وخلقي، ويصبح قلق المزاج ضعيف الذاكرة معرضاً للجنون ولبعض الأمراض الخطيرة في أعضاء جسمه، إلى جانب إهمال عمله وأسرته واستهتاره بالضوابط الإجتماعية مع احتمال ارتكابه جرائم السرقة والإحتيال والإختلاس للحصول على المال عند عدم توفره لديه لشراء المخدر وارتكاب جرائم الإيذاء أو القتل أحياناً عند هياجه في حالة اضطراره للتوقف عن تعاطي المخدر.

ومن الوسائل الضارة الأخرى تناول المسكرات وهي وإن كانت أقل خطورة من المخدرات إلا أنها أكثر شيوعاً وانتشاراً - خاصة وإن معظم قوانين العالم باستثناء الدول الإسلامية لا تمنع تعاطي الكحول - حيث تحتوي المسكرات الكحول التي تسبب تخدر خلايا المخ، وتتراوح درجة تأثيرها حسب نسبة تركيز الكحول فيها. فقد أثبت العلماء أن كمية قليلة من الكحول يتناولها الفرد لا يقتصر أثرها على إحداث تغيرات ملموسة في قدراته الذهنية فحسب، بل إنها كفيلة كذلك بإثارة دوافعه الغريزية وإضعاف قدرته على كبح تلك الدوافع على أن هذا الأثر لا يتحدد على أساس نوع ومقدار ما يتناوله الفرد من الكحول فحسب بل يتوقف كذلك على طبيعة تكوين الفرد العضوي.

ومن خلال الدراسات أن تناول المسكرات والإدمان عليها يؤدي في أكثر الأحيان إلى الإجرام، وقد دلت الإحصاءات في العديد من الدول على أن الأثر المباشر للسكر يبدو بوجه خاص في جرائم العنف والإهانة والجرائم الأخلاقية والحريق وجرائم الإهمال...<sup>1</sup>

ومن الوسائل الترويحية الضارة التي يلجأ إليها بعض الأفراد للحصول على الترفيه، المقامرة، وهي آفة اجتماعية متلفة للأخلاق ومخرية لكيان العائلة. فالمقامر الذي يفقد ماله بالمقامر يعجز عن الإنفاق على عائلته ويهملها مما يؤدي غالبا إلى تفككها وتشرذ أفرادها واحتمال إقدامهم على الإجرام. هذا بالإضافة إلى قيام الفرد المقامر بعد خسارة ماله في القمار إلى اللجوء إلى مختلف الوسائل غير المشروعة كالسرقة والإختلاس والإحتيال وخيانة الأمانة للحصول على المال الذي يحتاجه لإشباع نهمه للمقامرة طمعا في الكسب وهو مطمح لا يتحقق إلا نادرا وإذا تحقق لفترة قصيرة فنتبعها خسائر متلاحقة وما قد ينجم عنها من مشاحنات قد تتطور إلى مشاجرات ترتكب خلالها العديد من الجرائم كالسب والقذف والإيذاء أحيانا.

ومن الوسائل الترويحية الضارة أيضا التردد على مباءات الفساد الجنسي التي تعتبر أوكارا للرزيلة ومنبتا للإجرام، سواء كانت مخصصة للبغاء كدور البغاء العلني والسري، أم كانت مخصصة في ظاهرها لأغراض أخرى في حين تستغل للبغاء بصورة مباشرة أو غير مباشرة كبعض الملاهي وصالات الرقص والحانات والنوادي الليلية وبعض محلات الحلاقة والأزياء النسائية والمكاتب المشبوهة لتوريد الفنانات أو للتخديم والمكاتب الموهومة للإنتاج الفني وما شابها من المحلات التي تروج وتسهل البغاء. والبغاء فضلا عن خطورته واعتباره جريمة في حد ذاته في بعض التشريعات، فإنه يمهد لارتكاب العديد من الجرائم.<sup>2</sup>

1 - حسن أكرم نشأت، نفس المرجع، ص 142.

2- حسن أكرم نشأت، نفس المرجع، ص 145.

### 3.3.4 - الوسائل الترويجية التي يمكن ان تكون نافعة وضارة في نفس الوقت:

يمكننا القول إن هذا النوع من الوسائل الترويجية ترتبط بشكل أو بآخر بالتطور الحضاري الذي شهده العالم بعد الثورة الصناعية في أوروبا في آخر ق 19 وأوائل القرن العشرين. وكلما ازداد هذا التطور سرعة خاصة بعد ظهور الثورة التكنولوجية خلال العقود الأخيرة من القرن العشرين، ازداد تعدد هذه الوسائل كما وكيفا، خاصة ما يتعلق منها في مجال الإتصالات، حيث ظهرت أنواع جديدة من الوسائل الترويجية الصناعية لم تكن معروفة قبل ذلك. فمع اختراع الطباعة وانتشارها بدأت الصحف والكتب والمجلات بالإننتشار بشكل واسع كوسائل ترويجية يستخدمها الفرد للاطلاع على الأحداث والتزود بالثقافة، فضلا عن قضاء أوقات فراغه. ومع استمرار التطور الصناعي ظهرت وسائل أخرى كالسينما والإذاعة والتلفزيون، وأخيرا أظهرت الثورة التكنولوجية الحديثة وسائل أكثر تنوعا وتعقيدا كأجهزة الكمبيوتر وما رافقه من الإختراعات كالإنترنت أو ما يعرف بشبكة المعلومات الدولية، وكذلك ظهور القنوات الفضائية أجهزة الاتصالات كالهاتف النقال وغيره.

ولقد كان من الطبيعي أن يؤدي ظهور كل تلك الوسائل إلى إحداث تغييرات جذرية في حياة الإنسان، حتى بات يطلق على هذا العصر -عصر العولمة- الذي جعل من العالم قرية صغيرة لا يستطيع الإنسان فيها الإتصال من أي مكان في العالم بأي مكان آخر فحسب وإنما أصبح بوسعه الحصول على كل مايرغب به من معلومات وبرامج وأفلام وكتب وألعاب وحتى التسوق والبيع والشراء وهو جالس أمام جهاز الكمبيوتر في بيته أو مكتبه أو في سيارته أو في المقهى. ولقد كان من غير الممكن أن تظل الجريمة بمعزل عن كل تلك التطورات فتطورت الجريمة والسلوك الاجرامي تبعا لذلك بشكل سريع فاستحدثت جرائم لم تكن معروفة وتطورت جرائم أخرى.<sup>1</sup>

<sup>1</sup>- حسن أكرم نشأت، نفس المرجع، ص 145-146.

وفيما يلي سنقوم باستعراض لتلك الوسائل الترويجية والتعرف على أوجه تأثيرها السلبي والإيجابي على الفرد وعلاقتها بالإنحراف و السلوك الإجرامي :

#### أ - الصحف والمجلات:

على الرغم من التطور الحاصل في مجال الوسائل الترويجية الحديثة، فقد ظلت مطالعة الصحف والمجلات اليومية والأسبوعية من الوسائل الترويجية التي يستخدمها الفرد بشكل واسع، للتسلية من ناحية والإطلاع على الأخبار والمستجدات والأحداث من ناحية أخرى. ومن جوانبها السلبية تقوم بعض الصحف بنشر تفاصيل ارتكاب الجرائم وما تحويه من أساليب فنية في السرقة والتزوير والنصب، فتساهم بذلك بتعليم أفراد المجتمع وخاصة الأطفال والمراهقين الوسائل المستحدثة في عالم الجريمة. أما الجانب الإيجابي للصحف والمجلات الذي يجعل منها وسيلة ترويجية نافعة تساهم في مكافحة الجريمة والسلوك الإجرامي، فتتمثل بآراء رجال الصحافة الذين يؤكدون أهمية الدور الذي تلعبه الصحافة في مكافحة الإجرام، فهم يشعرون بأن ما تكشفه الصحف والمجلات من أخبار الجريمة والنصوص العقابية لتلك الجرائم تساهم في نشر الوعي العام وحث الأفراد على مكافحة الجريمة.

#### ب - الإذاعة والتلفزيون والسينما:

لعبت هذه الأخيرة ومازالت دورا هاما وخطيرا في مختلف المجتمعات على مدى القرن الماضي كأكثر الوسائل الترويجية انتشارا وتأثيرا على الأفراد من خلال ما تعرضه من الأخبار والبرامج والأفلام والقصص والتمثيلات وأفلام الكرتون الموجهة للأطفال. ومع التقدم العلمي والتقني في السنوات الأخيرة، تزايد دور تلك الوسائل الترويجية خاصة التلفزيون الذي تطور بثه من المحطات الأرضية المحدودة والخاضعة للرقابة من أجهزة الدولة إلى البث الفضائي المباشر وغير المحدود. وتأتي خطورة هذه الوسائل من كونها تساهم وبشكل مباشر



في تكوين الفرد سياسيا وثقافيا واجتماعيا وفنيا كما أنها تساهم في تكوين ذوق الفرد، فقد تؤدي إلى الإرتقاء بذوق الفرد المتلقي أو العكس قد تؤدي إلى انحدار وهبوط ذوق وأخلاق وسلوك الفرد المتلقي.<sup>1</sup>

---

<sup>1</sup>حسن أكرم نشأت، نفس المرجع، ص 147-148.

## قائمة المراجع

- أكارس رونالد وسيليس كرستين، نظريات علم الجريمة المدخل والتقييم والتطبيقات، تر: دياب البدانية، رافع الخريشة، دار الفكر، ط1، عمان، 2013.
- الدوري عدنان، أسباب الجريمة وطبيعة السلوك الإجرامي، ط3، منشورات ذات السلاسل، الكويت، 1984.
- السمري عدلي محمود، علم الاجتماع الجنائي، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، ط2، عمان، 2011.
- فهمي محمد سيد، الخدمة الإجتماعية في مجال الجريمة والعقاب، دار الكتب والوثائق القومية، بدون طبعة، الإسكندرية، 2012.
- عبد المنعم سليمان، علم الإجرام والجزاء، منشورات الحلبي الحقوقية، بدون طبعة، 2003.
- عايد عواد الوريكات، نظريات علم الجريمة، دار الشروق للنشر والتوزيع، 2004.
- نشأت حسن أكرم، علم الأنثروبولوجيا الجنائي، دار الثقافة للنشر والتوزيع، ط2، المملكة الأردنية الهاشمية، 2011.

## المجلات:

- منتدى خاص بطلبة جامعة الملك العزيز، علم الاجتماع الجنائي، SOC441
- منتديات طلاب وطالبات السعودية، منتدى خاص بطلبة جامعة الملك العزيز، الفصل الدراسي الثاني للعام الدراسي 1438هـ - 2017م
- يحيى خيرالله عودة، "البيئة والسلوك الاجرامي دراسة نظرية في الأنثروبولوجيا الجنائية"، مجلة الآداب، العدد 107، جامعة بغداد،

## دروس ومحاضرات:

- باره محمد رمضان، "مبادئ علم الإجرام" لطلبة الجامعة المفتوحة، دار النشر غير معروفة، ط2، 2000

- محمد يسعد ليلي، الأنثروبولوجيا الجنائية، دروس مقدمة لطلبة السنة الثانية ماستر علم الاجتماع الجريمة والانحراف، جامعة لونيبي علي، البلدية 2، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع، 2021-2022.

## المواقع الإلكترونية:

- البيئة وأثرها في الظاهرة الإجرامية - ملخص علم الإجرام University LifeStyle

- Rachadtv، منبر الأحرار، د. موسى بورفيس، دور الأنثروبولوجيا الجنائية في

تحديد مصير المختطفين في الجزائر، 2013/01/01

<https://youtu.be/422HTpsLUj8?si=UoRgkWFGMtdSzh5>